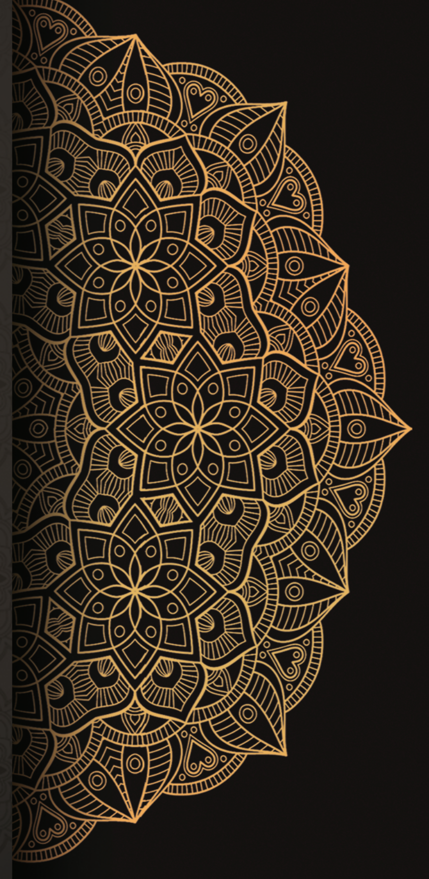


إنما أشكو بثي
وحزني إلى الله




تأليف
محمد بن حسن الزيلعي

ح محمد حسن يحيى زيلع، ١٤٤١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

زيلع، محمد بن حسن بن يحيى

إنما اشكوا بثي وحزني إلى اللّه . / محمد بن حسن بن يحيى زيلع

الرياض، ١٤٤١ هـ

ط ١ - الرياض، ١٤٤١ هـ

ص١٨٢؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٢٤٦٦-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- علم النفس الإسلامي ٢- الحزن

٣ - الاكتئاب أ. العنوان

ديوي ٢١٤,١٥٧٢ ٣١٧٠/ ١٤٤١

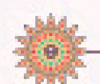
رقم الإيداع: ١٤٤١/٣١٧٠

ردمك: ٨-٢٤٦٦-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م





# إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى:

أبي الغالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وإلى أمي العزيزة أطال الله في عمرها

إلى زوجتي الكريمة وأولادي الأعزاء

إلى مشايخي الفضلاء إلى كل من وقف معي...

أقول لكم جزاكم الله خيرا

**محبكم المخلص**

**أبي خطاب محمد بن حسن الزيلعي**

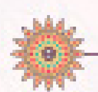
**جوال/٠٥٠٠٥٠٧٣٧٤**



قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: حَدَّثنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[١].

❊❊❊

(١) متفق عليه



**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحزن يضعف القلب، ويوهن العزم ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن)[1]، لذلك افرحوا واستبشروا وتفاءلوا وأحسنوا الظن بالله، وثقوا بما عند الله وتوكلوا عليه وستجدون السعادة والرضا في كل حال.

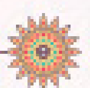
❊❊❊

**قال زين العابدين ابن بيه:**

| | |
|---|---|
| **ما مر بي قلق إلا وأنقذني** | **بيت يحول أحزاني لأفراح** |
| **سيفتح الله بابا كنت تحسبه** | **من شدة اليأس لم يخلق بمفتاح** |

❊❊❊

(١) طريق الهجرتين، ص ٢٧٩.



الحياة كلها في آيتين ..

* ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾[1] .
* ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾[2]

هذه معادلة الحياة وما على الإنسان إلا أن يختار.

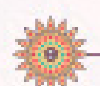
***

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكارم واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا ... ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تلاهت ... فموصول بها فرج قريب

***

(١) سورة طه، الآية ١٢٣.
(٢) سورة طه، الآية ١٢٤.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أ ن محمداً عبدُه و رسولُه .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3].

**أما بعد:**

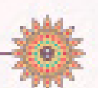
لا تخلو هذه الحياة من كثير من المصائب والمحن التي تصيب هذا الكائن الضعيف المسمى بالإنسان فهذا يبتلى في إعاقة ولده، وذاك في ماله، وآخر في صحته، وآخر في راحته وباله، وآخر في تعسر زواجه، وهذا في طلاقه، وهذا في عقمه وحرمانه من الذرية، وذاك في فراق أهله وأحبته.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٢) سور النساء، الآية ١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآيات ٧٠-٧١.



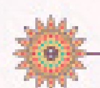
وهنا لا يجد المرء المبتلى أمامه سوى شكوى يرفعها إلى ربه بكلتا يديه الضعيفتين لعلها تخفف عن نفسه، لعله يجدد بها روحه، لعله يحاكى بها ربه. ولقد شاء المولى أن يبتلي عباده كي يسمع شكواهم إليه، فالشكوى إليه تحقيق لعبوديته. وفي سير الأنبياء والصحابة دروس للمصابين وهم يشكون ما أصابهم إلى ربهم فتكون عاقبة شكواهم سكون القلب وتفريج الكرب.

فيا رب،، يامن إليك التجأت، وبك اعتصمت، وعليك توكلت، وإليك ألقيت أموري. لا فارج لهمى ولا كاشف لبلواي إلا أنت، يا صاحب الركن الشديد أشهدك أنى قد آويت الى ركنك الشديد فارزقني حسن الشكاية ولا تحرمني منك حسن الكفالة والرعاية والستر و الكفاية.

ردني إليك ردا جميلا، وانسج لي حبلا جديدا من حبالك أمسك به واعتصم واجعل طرفه الأول عندك وطرفه الآخر عندي واشدده شدا جميلا فلا ينفرط حتى مماتي، وامنن عليّ بفضل منك ورحمة وأنزل رحمة من رحمتك وكرما من كرمك وحفظا من حفظك، فلا يكن لأحد بعدك سلطان عليّ[١].

فهذه رسائل ابعثها إلى المهمومين وإلى المحزونين إلى الحيارى إلى البائسين إلى الذين ظلموا أنفسهم، إلى كل من أصابته مصيبة إلى أحبابي وأصحابي إلى من سلك طريق هذا الدين القويم، هلموا إلى باب الرجاء والأمل، هلموا إلى ربكم الغفور الرحيم، هلموا إلى من سبقت رحمته غضبه.

(١) موقع صيد الفوائد: (نبيل جلهوم).



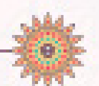
■ **قال الشاعر:**

| | |
|---|---|
| هـون عليـك فـإن الله فارجهـا | فـوحـده ربـي يـدري مخارجها |
| وافـرح لهـا إن اشـتدّت فشـدتها | عـلامة مـن الله إيـذانـا بفُرجتها |
| مـا دام ما يجري بعلم الله فارضَ به | ولا تَمُت حُزنا على الدنيا وبهجتها |
| كم أزعجتك أمور كنت تحسبها شرّاً | حتى رأيتَ من الرحمن حكمتها |
| فوّض له الأمر في كل الشؤون تجد | للصدر شرحا وللنفس سكينته |

اللهم فرج كرباتنا، وفرج همومنا وأحزاننا، اللهم وأجعل لنا من رحمتك نصيباً موفوراً، اللهم واجعلنا من عبادك الصلحاء الأتقياء الأخفياء.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





### (شَكْوَى) (اسم) فاعل من شَكا الجمع (شكَاوى).

* **الشَّكْوَى**: ما يُشْكَى منه.
* **الشَّكْوَى**: التوَجُّع من ألم ونحوه.
* وعادة ما يشير إلى التألم من جفوة الحبيب وبُعْده عن المحبّ، أو من قسوة الدهر، أو أولياء النعمة.
* **شكا همَّه إليه/ شكا همَّه له**: أبداه وبثّه متوجِّعً ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]
* أي إلى الله أبُثُّ ما أتوجع به.[2]

### بث: الخبر من باب رَدَّ، وأبثَّهُ بمعنى أي نَشَرَهُ

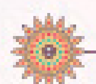
* **(أَبَثَّهُ)** يِسرَّه أي أظَهَرَهُ له
* **(البَثُّ)** الحَالُ والحُزْنُ.[3]
* **قيل (إن البث)** أشد الحزن، وهو عندي من (بث الحديث) وإنما يراد منه إنما أشكو خبري الذي أنا فيه من الهم وأبث حديثي وحزني إلى الله.

### حزن (اسم) الجمع (أَحَزانٌ).

* **(الحُزْنُ) و(الحَزَنَ)** ضد السرور.

---

(١) سورة يوسف، الآية ٨٦.
(٢) معجم المعاني.
(٣) مختار الصحاح.

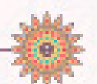


* **وهي بمعنى الهَمَّ،** الغّم (حزنه الأمر) غمَّه وكدَّره همَّه وكربه، عكس سَّره.
* **(حَزِنَ)** لمصابه: اغتم، اكتأب.
* **(الحُزن)** خلاف الفرح، حالة من الغمّ، والكآبة باطنًا ويترجم عنه الظَّاهر في الغالب.
* قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾[1].
* وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾[2].
* وقوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾[3].
* أظهر حُزنـًا شديداً.[4]

### (كَرب): (اسم)

* **الجمع:** كُروب
* **(الكَرْبُ):** الحُزْنُ والغمُّ يأْخذ بالنَّفْس والجمع: كُرُوب
* **مصدر (كرَبَ)** حُزْن وغمّ يأخذ بالنَّفس فرّج اللهُ كربَه ،
* **الجمع:** كُرُبات وكُرْبات و كُرَب

(١) سورة فاطر، الآية ٣٤.
(٢) سورة المائدة، الآية ٤١.
(٣) سورة يوسف، الآية ٨٤.
(٤) معجم المعاني.



* (**الكُرْبَةُ**): الكَرْب، غمّة، حُزْنٌ وغمٌّ يأخذ بالنفس، «**مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[1].[2]

## (هَمّ) : (اسم)

* **الجمع**: هُمُوم.
* (**الْهَمُّ**): الْحُزْنُ، الْغَمُّ.
* (**الْهَمُّ**): مَا يَشْغَلُ بَالَ الانسان، مَا يُؤَرِّقُ فِكْرَهُ.
* (**الهَمُّ**): ما هَمَّ به الرجلُ في نفسه.
* (**الهَمُّ**): أَوّلُ العزيمة.
* **هذا رجلٌ هَمُّك من رجل**: حَسْبُك.
* **كُلُّنا في الهَمّ شرك**: أي سواء في البلوى.[3]

## (غَمّ) : (اسم)

* **الجمع**: غُمُوم.
* (**الغَمُّ**): الحَرُّ.
* (**الغَمُّ**): الكرب أَو الحزن يحصُل للقلب بسببٍ مَا.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨/ ٢١) برقم: (٢٥٩٠)، (٨/ ٢١) برقم: (٢٥٩٠)، (٨/ ٧١) برقم: (٢٦٩٩)، (٨/ ٧١) برقم: (٢٦٩٩)

(٢) معجم المعاني .

(٣) نفس المصدر السابق .

* **يومٌ غَمٌّ**: ذو حَرٍّ.
* **(يومٌ غَمٌّ)**: ذو حزن.
* **مصدر غَمَّ**.[1]

❊❊❊

(١) نفس المصدر السابق .

## ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾

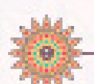
قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآيات: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾[1].

فلما رجعوا إلى أبيهم، وأخبروه بهذا الخبر، اشتد حزنه وتضاعف كمده، واتهمهم أيضًا في هذه القضية، كما اتهمهم في الأولى.

﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌ﴾ أي ألجأ في ذلك إلى الصبر الجميل الذي لا يصحبه تسخط ولا جزع، ولا شكوى للخلق، ثم لجأ إلى حصول الفرج، لما رأى أن الأمر اشتد والكربة انتهت فقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾ أي يوسف وبنيامين وأخوهم الكبير الذي أقام في مصر ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ الذي يعلم حالي، واحتياجي إلى تفريجه ومنته، واضطراري إلى إحسانه، الذي جعل لكل شيء قدرا، ولكل أمر منتهى بحسب ما اقتضته حكمته الربانية.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ أي وتولى يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن أولاده، بعدما أخبروه هذا الخبر، واشتد به الأسف والأسى، وابيضت عيناه من الحزن الذي في قلبه والكمد الذي أوجب له

(١) سورة يوسف، الآيات ٨٣-٨٦.



كثرة البكاء، حيث ابيضت عيناه من ذلك، ﴿فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ أي ممتلئ القلب من الحزن الشديد، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي ظهر منه ما كمن من الهّم القديم والشوق المقيم وذكرته هذه المصيبة الخفيفة بالنسبة للأولى، المصيبة الأولى.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ فقال له أولاده متعجبين من حاله﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ أي لا تزال تذكر يوسف في جميع أحوالك، ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾، أي فانياً لا حراك فيك ولا قدرة على الكلام ﴿أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾، أي لا تترك ذكره مع قدرتك على ذكره أبداً.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إنما أشكو بثي أي ما أبث من الكلام وحزني الذي في قلبي إلى الله وحده لا إليكم ولا إلى غيركم من الخلق فقولوا ما شئتم، ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من أنه سيردهم عليَّ ويقر عيني بالاجتماع بهم)[١].

**قال سيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامه على هذه الآيات كلاماً جميلاً قال:** (ويطوي السياق الطريق بهم، حتى يقفهم في مشهد أمام أبيهم المفجوع، وقد أفضوا إليه بالنبأ الفظيع فلا نسمع إلا رده قصيراً سريعاً أن يرد عليه ولديه، أو أولاده الثلاثة بما فيهم كبيرهم الذي أقسم ألا يبرح حتى يحكم الله له، وإنه لأمل عجيب في ذلك القلب الوجيع:

﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ كلمته ذاتها يوم فقد يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولكنه في

(١) تفسير السعدي: (ص ٤٦٧).

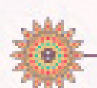
هذه المرة يضيف إليها هذا الأمل أن يرد الله عليه يوسف وأخاه فيرد ابنه الآخر المتخلف هناك إنه هو العليم الحكيم الذي يعلم حاله، ويعلم ما وراء هذه الأحداث والامتحانات ويأتي بكل أمر في وقته المناسب، عندما تتحقق حكمته في ترتيب الأسباب والنتائج.

### هذا الشعاع من أين جاء إلى قلب هذا الرجل الشيخ؟

إنه الرجاء في الله، والاتصال الوثيق به، والشعور الواقع المحسوس الذي تلمسه الأيدي وتراه الأبصار.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾

وهي صورة مؤثرة للوالد المفجوع يحس أنه منفرد بهمه، وحيد بمصابه، لا تشاركه هذه القلوب التي حوله ولا تجاوبه، فينفرد في معزل، يندب فجيعته في ولده الحبيب يوسف الذي لم ينسه، ولم تهوّن من مصيبته السنون والذي تذكره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ ويكظم الرجل حزنه ويتجلد فيؤثر هذا الكظم في أعصابه حتى تبيض عيناه حزناً وكمداً، ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ ويبلغ الحقد بقلوب بنيه ألا يرحموا ما به، وأن يلسع قلوبهم حنينه ليوسف وحزنه عليه ذلك الحزن الكامد الكظيم، فلا يسرون عنه، ولا يعزونه، ولا يعللونه بالرجاء، بل يريدون ليطمسوا في قلبه الشعاع الأخير: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ وهي كلمة حانقة مستنكرة تالله تظل تذكر يوسف، ويهلك الحزن عليه، حتى تذوب حزناً أو تهلك أسى بلا جدوى، فيوسف ميئوس منه قد ذهب ولن يعود، ويرد عليهم الرجل بأن يتركوه لربه، فهو لا يشكو لأحد من خلقه،



وهو على صلة بربه غير صلتهم، ويعلم من حقيقته ما لا يعلمون.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وفي هذه الكلمات يتجلى الشعور بحقيقة الألوهية في هذا القلب الموصول، كما تتجلى هذه الحقيقة ذاتها بجلالها الغامر ولألائها الباهر.

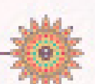
إن هذا الواقع الظاهر الميئس من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا المدى الطويل الذي يقطع الرجاء من حياته فضلاً على عودته إلى أبيه، واستنكار بنيه لهذا التطلع بعد هذا الأمر الطويل في وجه الواقع الثقيل.. إن هذا كله لا يؤثر شيئاً في شعور الرجل الصالح بربه. فهو يعلم من حقيقة ربه ومن شأنه ما لا يعلم هؤلاء المحجوبون عن تلك الحقيقة بذلك الواقع الصغير المنظور!

وهذه قيمة الإيمان بالله، ومعرفته سبحانه هذا اللون من المعرفة، معرفة التجلي والشهود وملابسة قدرته، وقدرة وملامسة رحمته ورعايته، وإدراك شأن الألوهية مع العبيد الصالحين.

إن هذه الكلمات: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ تجلو هذه الحقيقة بما لا تملك كلماتنا نحن أن تجلوها.

وتعرض مذاقاً يعرفه من ذاق مثله، فيدرك ماذا تعني هذه الكلمات في نفس العبد الصالح يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.. والقلب الذي ذاق هذا المذاق لا تبلغ الشدائد منه – مهما بلغت – إلا أن يتعمق اللمس والمشاهدة والمذاق! ولا نملك أن نزيد.

ثم يوجههم يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى تلمس يوسف وأخيه وألا ييأسوا من رحمة الله، في العثور عليهما، فإن رحمة الله واسعة وفرجه دائماً منظور.



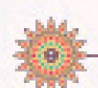
﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾[1] فيا للقلب الموصول، تحسسوا بحواسكم، في لطف وبصر وصبر على البحث، ودون يأس من الله وفرجه ورحمته وكلمة (روح) أدق دلالة وأكثر شفافية ففيها ظل الاسترواح من الكرب الحانق بما ينسم على الأرواح من روْح الله الندي.

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ فأما المؤمنون الموصولة قلوبهم بالله، الندية أرواحهم بروْحه الشاعرون بنفحاته المحيية الرضية، فإنهم لا ييأسون من روْح الله ولو أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق وإن المؤمن لفي روح من ظلال إيمانه وفي أنس من صلته بربه، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه وهو في مضايق الشدة ومخانق الكروب»[2].

❊❊❊

(١) سورة يوسف، الآية ٨٧.

(٢) ظلال القران (٤/ ٢٠٢٥/ ٢٠٢٦).



## ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾

**قال ابن جرير الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للقائلين له من ولده تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين لست إليكم أشْكُو بثِّي وحُزْني، وإنما أَشكو ذلك إلى الله ، يعني بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي﴾: ما أَشكو همِّي وحُزني إلَّا إلى الله)[1].

«إذا كنت حزين؟ ردد»: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وإذا أردت شيء بشده اطلبه من الله في كل سجده وقل: يا الله أرني عجائب قدرتك فيما أتمنى.

**قال الشيخ علي الطنطاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلما ازدحمت عليَّ المتاعب، وركبتني الهموم، وضاق صدري مشيت حتى أجد مسجداً خالياً، فأدخله فأصلي ركعتين وأقعد وأشعر بسكون المسجد».

لا تيأس من حياة أبكت قلبك، وقل يا الله عوضني خيراً، فالحزن يرحل بسجدة، والفرح يأتي بدعوة.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

فألقِ نفسك بين يدي الله وسلمِّ الأمر إليه فما رد سائله، ولا خاب طالبه، فهو ربُّ المستضعفين، وجابرُ قلوب المنكسرين، وهو السامع القريب لكل شكوى، والصاحب لكل نجوى.

---

(١) تفسير الطبري: (١٣/ ص ٣٠٥).

يا من أصابه الهم وأصابه الغم وأصابه ضيق في صدره انطرح بين يد الله وبثي شكواك إليه وقل (يا الله) وأكثر منها في سجودك وناجه يا الله يا الله يا الله.

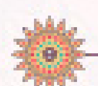
يا من أصابه الفقر، يا من أصابه الجوع، يا من أصابه المرض، يا من يريد الذرية، يا من رزق ابن أو ابنة عاق، يا من فقد ولده، يا من يريد المال الحلال والرزق الحلال «اهتف وقل يا الله».

من يشتكي هَمّهُ لله، ستنهمر عليه الأفراح وكأنه لم يحزن أبداً ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

■ **قال الشاعر:**

| | |
|---|---|
| يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ مُنْفَرِجٌ | أَبْشِرْ بخيرٍ فإنَّ الفارجَ اللهُ |
| اليأسُ يَقْطَعُ أحيانًا بصاحِبِهِ | لا تَيْئَسَنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ |
| اللهُ يُحْدِثُ بعدَ العُسرِ مَيْسَرَةً | لا تَجْزَعَنَّ فإنَّ القاسمَ اللهُ |
| إذا بُلِيتَ فثِقْ باللهِ، وارْضَ بهِ | إنَّ الذي يَكْشِفُ البَلْوَى هو اللهُ |
| واللهِ مَا لَكَ غيرُ اللهِ مِن أحدٍ | فحَسْبُكَ اللهُ في كلٍّ لكَ اللهُ |





## الطمأنينة

الطمأنينة تكمنُ في أن اليد التي ترفعها لله يستحيل أن ترد خائبة، ودعوات قلبك وإن أخفيتها فإنها مسموعة.

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[(١)].

■ **وقال أحد الصالحين:**

لا تسألن بُنـيَّ آدم حاجـــــةً ... وسل الـذي أبـوابه لا تُحجبُ

الله يغضــبُ إن تركـت ســـؤاله ... وبُـنَـيَّ آدم حينَ يُسألُ يغضبُ

كُلَّما زاد عِلم الإنسان بالله قلَّتْ شكواه إلى الخَلْق ولم يَصْرِفها إلا إلى الخالق.

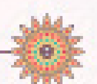
﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

لم ينزل به بلاء قط إلا أتى حسن ظنه بالله من ورائه، قيل: «ما بلغ وجد يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على ابنه؟ قال: وجد سبعين ثَكْلى! قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مئة شهيد قال: وما ساء ظنّه بالله ساعة قطّ من ليل ولا نهار»[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣/ ١٦٠) برقم: (٨٧٦)، (٣/ ١٦٣) برقم: (٨٨٠) والحاكم في "مستدركه" (١/ ٤٩٧) برقم: (١٨٣٦)، (١/ ٤٩٧) برقم: (١٨٣٧)، (١/ ٥٣٥) برقم: (١٩٦٨) وأبو داود في "سننه" (١/ ٥٥٣) برقم: (١٤٨٨) والترمذي في "جامعه" (٥/ ٥٢١) برقم: (٣٥٥٦).

(٢) تفسير الطبري: (١٣/ ص ٣٠٧).

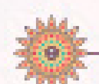


يقول الشيخ أحمد ديدات رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (معنى الراحة النفسية لو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك فطمئن).

عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[1].

❊❊❊

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤/ ٢٨٤) برقم: (٢٥١٦) وأحمد في "مسنده" (٢/ ٦٤٨) برقم: (٢٧١٣)، (٢/ ٦٧٠) برقم: (٢٨٠٧)، (٢/ ٦٧٩) برقم: (٢٨٤٨)، (٢/ ٦٨٠) برقم: (٢٨٤٩).
قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»



## لا يمكَّن المؤمن حتى يبتلى

لا يمكَّن المؤمن حتى يبتلى، ومن رحم البلاء يولد العز والتمكين فمن ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾[1] إلى ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾[2] ليصل أخيراً ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾[3] فمهما بلغت تدابير البشر فهي ليست النهاية بل قد تكون البداية، فقد تأتي العطايا من بين البلايا ويولد الفرج من رحم الوجع.

لا يمكَّن المؤمن حتى يبتلى، قد يطول البلاء ليُدهشك المولى بالعطاء فاصبر وصابر وثق بالمولى فإنه يعطي على الصبر أضعاف أضعاف ما ينزل عليك من البلاء.

كان حُب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ متمكن في قلب يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويوسف متدللاً في حضن أبيه، لكن شاء الله أن يتفرقا ويشتد الابتلاء، وبعد ذلك مكنّه الله في الأرض يتبوا منها حيث يشاء، تدبير الله ولطفه أعظم من أن تدركه عقولنا الضعيفة.. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾[4]، كان التمكين والنصر والظفر بعد كل ما لاقى من ابتلاءات، وبعد كلٍ ما تجاوز من اختبارات، وكذلك لو تأخر التمكين للمحسنين فهو واقع بما يدهش من الكريم اللطيف سبحانه.

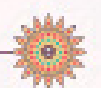
---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠.

(٢) سورة يوسف، الآية ٢٠.

(٣) سورة يوسف، الآية ٥٦.

(٤) سورة يوسف، الآية ٥٦.



﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من أتقن الدعاء والصبر الجميل، جاءه كلُّ ما كان يظنّه مستحيل... وهذا ما حصل مع يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(١).

وقد جاء عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاءُ فيعتلجانِ إلى يوم القيامة**»(٢).

**قال الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن قيل: ما فائدة الدعاء مع أن القضاءَ لا مردَّ له؟ فاعلم أن مِن جملة القضاء ردَّ البلاء بالدعاء؛ فإن الدعاء سبب رد البلاء، ووجود الرحمة، كما أن البَذْرَ سببٌ لخروج النبات من الأرض، وكما أن التُّرْسَ يدفع السهم، كذلك الدعاء يرد البلاء)(٣).

■ **قال بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

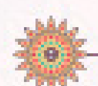
**رضيت بالله في عسـري وفي يسري**     **فلست أسلك إلا أوضح الطرق**

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/ ٢٠١) برقم: (٣٦١٢)، (٥/ ٤٥) برقم: (٣٨٥٢)، (٩/ ٢٠) برقم: (٦٩٤٣).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١٨١٣) وصححه، ومعنى: يعتلجانِ: يصطرعان.

(٣) إحياء علوم الدين ١/ ٣٣٣.



## ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ﴾[1]

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا لطيفاً بالعبد، لطيفاً لما يشاء، الطف بنا في جميع الأمور ما معنى: لطف الله بعبده ولطفه لعبده الذي تتعلق به آمال العبد، ويسألونه من ربهم؟ وهو أحد معنيي مقتضى اسمه اللطيف، فإن الطيف بمعنى الخبير العليم قد تقرر معناه، ولكن المطلوب هنا المعنى الثاني، الذي يضطر إليه العباد، ولنذكر بعض أمثلته وأنواعه، ليتضح: فاعلم أن اللطف الذي يطلبه العبد من الله بلسان المقال ولسان الحال هو من الرحمة، بل هو رحمة خاصة، فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف، فإذا قال العبد: يا لطيف الطف بي أولي وأسألك لطفك فمعناه: تولني ولاية خاصة، بها تصلح أحوالي الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عني جميع المكروهات: من الأمور الداخلية والأمور الخارجية، فأمور الداخلية لطف بالعبد والأمور الخارجية لطف بالعبد، فإذا يسر الله عبده وسهل طريق الخير وأعانه عليه فقد لطف به، وإذا قيض الله له أسباباً خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد، فيها صلاحه فقد لطف له.

ولهذا لما تنقلت بيوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تلك الاحوال وتطورت به الأطوار من رؤياه وحسد إخوانه له، وسعيهم في إبعاده جداً، واختصاصهم بأبيهم، ثم محنته بالنسوة، ثم السجن، ثم بالخروج منه سبب رؤيا الملك العظمية وانفراده بتعبيرها، وتبوئه من الأرض حيث يشاء وحصول ما حصل على أبيه من الابتلاء والامتحان، ثم حصل بعد ذلك الاجتماع السار، وازالة الأكدار وصلاح حالة

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٠.

الجميع، والاجتباء العظيم ليوسف – عرف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن هذه الأشياء وغيرها لطفُ لطف الله لهم به، فاعترف بهذه النعمة فقال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾[1]. أي: لطفه تعالى خاص لمن يشاء من عبادة ممن يعلمه تعالى محلاً لذلك، وأهلاً له، فلا يضعه إلا في محله والله أعلم حيث يضع فضله، فإذا رأيت الله تعالى قد يسر العبد لليسرى وسهل له طريق الخير، وذلل له صعابه وفتح له ابوابه ونهج له طرقه ومهد له أسبابه وجنبه العسرى فقد لطف به، ومن لطفه بعبادة المؤمنين أنه يتولاهم بلطفه فيخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة».

### ومن لطفه بعبادة:

أنه يُقّدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم لا بحسب مراداتهم، فقد يريد شيئًا وغيرُه أصلح، فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه، لطفًا بهم وبراً وإحسانًا ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾[2][3].

| | |
|---|---|
| أُلْطُـفْ إلٰهـي بقلـبٍ تائـهٍ وَجِـلٍ | يرجو الهُدى، وزوالَ الكربِ والألَمِ |
| وارحَمْ عيونًا إذا جَنَّ الظّلامُ.. هَمَتْ | وأطهَرُ الدَّمعِ دمعٌ فاضَ في الظُّلَمِ |

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ﴾: قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها)[4].

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٠.

(٢) سورة الشورى، الآية ١٩.

(٣) المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص ١١٩-١٢٠).

(٤) تفسير السعدي: ص ٤٧٠).

تلمّس لطف الله في تدبيره في دقائق يومك في تسخيره للأشياء والأحداث والأشخاص لأجلك، ستجد أن رعايته تُحيطك في كل حين، وفضله عليك مُغدق.

❋❋❋

## حدث كوني هائل لنصرة نبي

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠﴾[1]

فهذا نوح عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما اشتد عليه أذى قومه حاصروه وهدده، فكانوا يأخذون من يتبعه فيفتنوهم عن دينهم ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠﴾ (فاستجبنا) ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١﴾[2] فكان نوح يلجأ إلى ربه رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا (بهذه الأصنام التي عبدوها) رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا، فجاء الله عَزَّوَجَلَّ بالنصر المبين وأغرق القوم بالطوفان وأنقذ الله نوحـاً ومن معه.

انتهت طاقتي. انتهى جهدي. انتهت قوتي. وغلبت على أمري. ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠﴾ انتصر أنت يا ربي انتصر لدعوتك. انتصر لحقك. انتصر لمنهجك. انتصر أنت فالأمر أمرك، والدعوة دعوتك وقد انتهى دوري! وما تكاد هذه الكلمات تقال، وما يكاد الرسول يسلم الأمر لصاحبه الجليل القهار، حتى تشير اليد القادرة القاهرة إلى عجلة الكون الهائلة الساحقة..

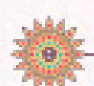
فتدور دورتها المدوية المجلجلة ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢﴾[3].

---

(١) سورة القمر، الآية ١٠.

(٢) سورة القمر، الآية ١١.

(٣) سورة القمر، الآيات ١١-١٢.



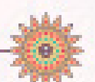
وهي حركة كونية ضخمة غامرة تصورها ألفاظ وعبارات مختارة تبدأ بإسناد الفعل إلى الله مباشرة ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ فيحس القارئ يد الجبار تفتح ﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بهذا اللفظ وبهذا الجمع ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١﴾ غزير متوال، وبالقوة ذاتها وبالحركة نفسها ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وهو تعبير يرسم مشهد التفجر وكأنه ينبثق من الأرض كلها، وكأنما الأرض كلها قد استحالت عيوناً.

والتقى الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾ التقيا على أمر مقدر، فهما على اتفاق التنفيذ هذا الأمر المقدر، طائعان للأمر محققان للقدر.

حتى إذا صار طوفان يطم ويعم ويغمر وجه الأرض، ويطوي الدنس الذي يغش هذا الوجه، وقد يئس الرسول من تطهيره، وغلب على أمره في علاجه، امتدت اليد القوية الرحيمة إلى الرسول الذي دعا دعوته، فتحرك لها الكون كله امتدت له هذه اليد بالنجاة وبالتكريم ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾[1].

وظاهر من العبارة تفخيم السفينة وتعظيم أمرها، فهي ذات ألواح ودسر، توصف ولا تذكر لفخامتها وقيمتها وهي تجري في رعاية الله بملاحظة أعينه ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾ وجحد وازدجر، وهو جزاء يمسح بالرعاية على الجفاء، وبالتكريم على الاستهزاء. ويصور مدى القوة التي يملك رصيدها من يغلب في سبيل الله، ومن يبذل طاقته، ثم يعود إليه يسلم له أمره وأمر الدعوة ويدع له أن ينتصر !.. إن قوى الكون الهائلة كلها في خدمته وفي نصرته، والله من ورائها

(١) سورة القمر، الآيات ١٣-١٤.



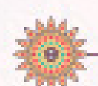
بجبروته وقدرته.

وعلى مشهد الانتصار الهائل الكامل، والمحق الحاسم الشامل يتوجه إلى القلوب التي شهدت المشهد كأنها تراه. يتوجه إليها بلمسة التعقيب، لعلها تتأثر وتستجيب ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥﴾[1].[2]

❊❊❊

(١) سورة القمر، الآية ١٥.

(٢) الدعوة والتربية في ظلال القران (ص٢٥/ ٢٦/ ٢٧).



## ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨﴾[1]

ذُكِر أن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما دعا قومه إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، وأخذ يحاجُّهم في كل طريق، وبكل وسيلة، حتى انتهى به الأمر إلى أن حطَّم تلك الأصنام، حتى يبيِّن لقومه سوء صنيعهم في عبادة آلهة لا تضر ولا تنفع، فلما تبين القوم سوء فعلهم، وقلة حيلتهم في دفع حجج إبراهيم المتهادرة عنهم؛ إذ قد دحضت حجتهم، وبان عجزهم، وظهر الحق، واندفع الباطل، عدلوا عندئذ إلى استعمال جاهِ مُلكهم، فقالوا: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨﴾[2]. فجمعوا حطبًا كثيرًا جدًّا - قال السدي: حتى إن كانت المرأة تمرض، فتنذر إن عوفِيَتْ أن تحمل حطبًا لحريق إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - ثم جعلوه في جَوْبة من الأرض، وأضرموها نارًا، فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع، لم توقَدْ قط نارٌ مثلها، وجعلوا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في كفة المنجنيق، بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد - قال شُعَيب الجبائي: اسمه هيزن - فخسَف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، فلما ألقَوه قال: «حسبي الله ونعم الوكيل»؛ كما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال: «**حسبي الله ونعم الوكيل**» قالها إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين ألقي في النار، وقالها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾[3].

(١) سورة الأنبياء، الآية ٦٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٦٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٧٣.

وذكر **بعض السلف** أنه عرض له جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو في الهواء، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أمَّا إليك فلا، وأما من الله فبلى. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾[1]. قال: لم يبقَ نار في الأرض إلا طفئت، وقال كعب الأحبار: لم ينتفع أحدٌ يومئذ بنار، ولم تحرق النار من إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سوى وَثاقِه.

**وقال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا **وأبو العاليةِ**: لولا أن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لآذى إبراهيمَ بَرْدُها.

وقوله: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾[2]. أي: المغلوبين الأسفلين؛ لأنهم أرادوا بنبي الله كيدًا، فكادهم الله ونجّاه من النار، فغُلبوا هنالك».

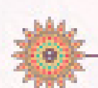
وهكذا يكون نصرُ الله لأوليائه؛ فإنه سبحانه قد قضى في قضائه، أنه من عادى له وليًّا فقد آذنه بالحرب، ألم يقل سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾[3].

❋❋❋

(١) سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٧٠.

(٣) سورة يوسف، الآية ١١٠.



## ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾[1]

لله سلَّمتُ أمرًا لستُ أَعلمهُ مالي على حِملِه لكن سَأرضاهُ

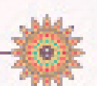
ربّاهُ لولاكَ لا سندٌ و لا أحدٌ فأنتَ حَسبي وَحَسْبِي أنّكَ الله

بعد أن رزق الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ نبيه وخليله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بولدٍ من هاجر هو إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، أحبه إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حبًا شديدًا وتعلق قلبه به.. فأراد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يختبر نبيه إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فأمره أن يذبح ولده الوحيد وفلذة كبده إسماعيل بعد أن كبر.. وقد جاء هذا الأمر في رؤيا رآها إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في المنام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾[2].

ومعلوم أن رؤيا الأنبياء وحي، فذهب إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لولده وأخبره بما أمره الله به، فما كان من هذا الولد الصالح ابن السيدة التي وكلّت أمرها لله تعالى في السابق إلا أن يستجيب لوالده ولأمر الله تعالى بكل حب وطواعية صابرًا محتسبًا، مُرضيًا لربه، وبارًا بوالده؛ قائلاً: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾[3].

وانظروا معي أحبائي الكرام إلى تمام العبودية وكمال الامتثال لأمر الله تعالى سواء من الأب الذي أُمِر أن يذبح ولده الوحيد الذي طالما تمناه وبعد أن رزقه الله به على كبر، ومن الابن الذي لم يتذمر ولم يرفض بل هانت عليه نفسه إرضاءً

(١) سورة الصافات، الآية ١٠٢.
(٢) سورة الصافات، الآية ١٠٢.
(٣) سورة الصافات، الآية ١٠٢.



لله تعالى، وأخبر والده أنه مُوطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة اللّه تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة اللّه تعالى.

ولما استسلم إبراهيم وولده لأمر الله تعالى وفوضا أمرهما إليه.. ذهبا سويًا إلى مكانٍ بعيدٍ وخلع إسماعيل قميصه ليكفنه والده فيه، وأضجع إبراهيمُ ولدَه على وجهه لئلا ينظر إليه فيشفق عليه..

وفي هذه اللحظات التي تُسكَب فيها العبرات، وتُحتَبس من أجلها الأنفاس داخل الصدور، فلا ترى إلا المدامع في العيون، وضع إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ السكين على رقبة ولده ليحزها، فسُلِبَت السكين حدها كما سُلِبت النار من قبل إحراقها..

وجاءت البشرى فنودي إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾[1].

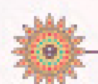
**يقول ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس المراد من الابتلاء أن نُعذب، ولكنا نبتلي لنُهذب، وليس العجب من أمر الخليل بذبح ولده، وإنما العجب من مباشرة الذبح بيده، ولولا استغراق حب الأمر لما هان مثل هذا المأمور». وإذا بكبشٍ عظيم أبيض اقرن قد بعثه الله تعالى فداءً لإسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾[2].

وأصبح هذا اليوم يومُ عيدٍ للمسلمين وأصبح ذبح الأضحية نُسكًا يُتقرب به إلى الله تعالى إكرامًا لذكرى إبراهيم وولده إسماعيل عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ.

---

(١) سورة الصافات، الآيات ١٠٤-١٠٦.

(٢) سورة الصافات، الآية ١٠٧.



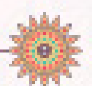
* وقد يتبادر إلى الذهن سؤال وهو ما الحكمة من الأمر بذبح إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؟

* ثم ما السبب في رفع هذا الأمر وفداء إسماعيل؟

لنستمع إذًا إلى كلام شيخنا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يقول: «لما سأل إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ربه الولد ووهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته. والله تعالى قد اتخذه خليلاً؛ والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها. فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد، جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل فأمره بذبح المحبوب. فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد، خلُصَت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبقَ في الذبح مصلحة إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس عليه فقد حصل المقصود فنُسِخ الأمر، وفُدِي الذبيح، وصدق الخليل الرؤيا، وحصل مراد الرب»[1].



(١) الداء والدواء لابن القيم: (ص ٢٩٤).



﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾[1]

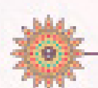
وهذا أيوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أبتلاه الله بالأمراض، فلبث في بلائه ثلاث عشر سنة حتى رفضه القريب والبعيد.

واذكر – عبدنا أيوب – عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذ ابتليناه بضر وسقم عظيم في جسده وفقد أهله وماله وولده، فصبر واحتسب ونادى ربه عَزَّوَجَلَّ أني قد أصابني الضر وأنت أرحم الراحمين فاكشفه عني[2].

فأيوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو نموذج للعبد الصابر لا يضيق صدره بالبلاء، ولا يتململ من الضر الذي تضرب به الأمثال في جميع الأعصار بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئنانًا إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال.

قال سيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب كانت الاستجابة، وكانت الرحمة، وكانت نهاية الابتلاء ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾[3] رفع عنه الضر في بدنه فإذا هو معافى صحيح، ورفع عنه الضر في اهله فعوضه عمن فقد منهم، ورزقه مثلهم، وقيل هم أبناؤه فوهب الله له مثليهم، أو أنه وهب له أبناء وأحفاداً ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ فكل نعمة فهي رحمة من عند الله ومنة، ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ تذكرهم بالله

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٣.
(٢) التفسير الميسر (ص/ ٣٢٩).
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٨٤.



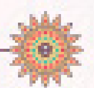
وبلائه ورحمته في البلاء وبعد البلاء، إن في بلاء أيوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمثلاً للبشرية كلها، وإن في صبر أيوب لعبرة للبشرية كلها، وإنه لأفق للصبر والأدب وحسن العاقبة تتطلع إليه الأبصار)[1].

■ **يقول: يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل ولد سنه ٤٣٣ للهجرة:**

| | |
|---|---|
| طرقت باب الرجا والناس قد رقدوا | وَبِتُّ أشكوا إلى مولاي ما أجدُ |
| وقُلتُ يا أمَلي في كلِّ نائبة | ومَن عليه لكشف الضُّرِّ أعتمد |
| أشكو إليك أموراً أنت تعلمها | ما لي على حملها صبرٌ ولا جلدُ |
| وقد مدَدْتُ يدِي بالذُّلِّ مبتهلاً | إليك يا خير من مُدَّتْ إليه يدُ |
| فلا ترُدَّنها يا ربِّ خائبةً | فبَحْرُ جودِكَ يُروي كل منْ يَرِدُ |



(١) ظلال القران (٤/ ٢٣٩٢).



## صاحب الحوت

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾[1]

### قصة صاحب الحوت:

وهو يونس بن متَّى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أرسله الله إلى قومه فدعاهم فلم يؤمنوا، فتوعَّدهم بالعذاب فلم ينيبوا، ولم يصبر عليهم كما أمره الله، وخرج من بينهم غاضباً عليهم، ضائقاً صدره بعصيانهم، وظن أن الله لن يضيِّق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة فابتلاه الله بشدة الضيق، والحبس، والتقمه الحوت في البحر، فنادى ربه في ظلمات الليل وظلمات البحر وظلمة بطن الحوت تائباً معترفاً بظلمه، لتركه الصبر على قومه قائلاً ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ فجاء الجواب من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾[2] فاستجبنا له دعاءه، وخلَّصناه مِن غمِّ هذه الشدة، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[3] كذلك ننجي المصدِّقين العاملين بشرعنا)[4].

لم يكن عنده أصلاً من يشكو إليه إلا الله، لأنه محبوس في بطن الحوت، وهكذا نتلمس في شكوى ذلك النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ معاني الضعف والمسكنة والافتقار إلى الله لهذا جاءت النتيجة فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجي المؤمنين.

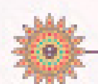
---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٨٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٨٨.

(٤) التفسير الميسر (ص/ ٣٢٩).



قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[1].

عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا جُلوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بشَيْءٍ إذا نزَلَ برَجُلٍ منْكُمْ كربٌ، أَوْ بَلاءٌ منْ بَلايا الدُّنْيا دَعا به يُفَرَّجُ عَنْهُ؟ فَقيلَ لَهُ: بَلى، فَقَالَ: «دُعَاءُ ذِي النُّونِ: لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»[2].

ورواه الترمذي ولفظه: «دَعْوَةُ ذي النُّونِ إذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»[3].

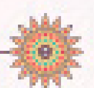
إذا ضاقتْ بِكَ الأبوابُ أرْضًا ... فَبابُ اللهِ دَوْمًا لا يَضيقُ
فَقُمْ للبابِ وابْتَهِلِ اضطرارًا ... بإخلاصٍ كما يدعو الغَريقُ
وأبْشِرْ سَوفَ تَنْهَمِرُ العطايا ... فَمَنْ تدعوهُ مَنَّانٌ رَفيقُ

❊❊❊

(١) سورة الأنبياء، الآيات ٨٧-٨٨.

(٢) النسائي في "الكبرى" (٩/ ٢٤٣) برقم: (١٠٤١٦)، (٩/ ٢٤٣) برقم: (١٠٤١٧) والترمذي في "جامعه" (٥/ ٤٨٤) برقم: (٣٥٠٥) وأحمد في "مسنده" (١/ ٣٦٦) برقم: (١٤٨٠) والحاكم في "مستدركه" (١/ ٥٠٥) برقم: (١٨٦٨)، (١/ ٥٠٥) برقم: (١٨٦٩)، (١/ ٥٠٥) برقم: (١٨٧٠).
وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٤٤)

(٣) صححه الألباني في « صحيح الترمذي»



## ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾[1]

التفاؤل وحسن الظن هو أن تتعلق بفرج الله حتى ولو كانت المعطيات كلها ضدك، فالبحر أمام موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والعدو خلفه ومع ذلك قال: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾[2].

لقد لقي بنو إسرائيل في مصر العنت والإرهاق من كبت فرعون وظلمه فانهم وإن أمِنوا على أنفسهم نوعـاً ما من القتل، بعد أن أرى موسى لفرعون الآيات، من الدم، والقمّل، والضّفادع، وغيرها ـ إلا أن فرعون العنيد، وأتباعه الكفرة ما زالوا يضايقون موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وبني إسرائيل، حتى ضاقوا بالأمر ذرعـاً.

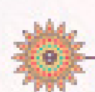
إن الأغلبية السّاحقة من المصريّين كانوا ينظرون إلى موسى والمؤمنين شزراً، وكانوا يشبعونهم إهانات، والمؤمنون صابرون صامدون، لكن إلى متى؟ وكثرت الشكوى إلى موسى حول هذا الموضوع. ولكن ما هو العلاج؟

وجاء الفرج.. وذلك بأن أوحى الله تعالى إلى موسى بالخروج من مصر، وهل المكان منحصرٌ في مصر؟ كلاّ! إذن إلى أين؟ وكيف؟ وهل هذا الأمر سهل؟ كلاّ! فإنه خروج مما يقارب الثلاثة أرباع المليون، تاركين وراءهم مكاسبهم ومنازلهم، وكلّ ما يتعلّق بهم من أصعب الأمور، غير أن الاضطرار قد يكلّف الإنسان رهقـاً، قرر موسى حسب أمر الله تعالى الهجرة من مصر مع بني إسرائيل أجمع، ويا له من قرار خطير!

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٦٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٦٢.



ثم هل يمكنهم الفرار من يد الطاغية فرعون، وهو يرصدهم، ويبغي لهم الغوائل؟ لكن قدرة الله تعالى أكبر من كل شيء وتدبيره أحسن من كل تدبير، لقد أفجع سبحانه آل فرعون بنفوس أعزّائهم، فمات كثيرٌ منهم، مما أشغل بالهم، وأخذوا في النّواح والنّدبة لأعزائهم.

وهنا حان الوقت ليفرّ بنو إسرائيل من مصر، حين اشتغال القبط بأنفسهم وكان الذين يريدون الفرار، يقاربون ثلاثة أرباع المليون، وفي ليلة الميعاد المقرّر خرج هذا الجمع الغفير، تحت ظلام الليل، وأسرعوا من المدينة مع موسى وهارون عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ أحدهما يقود الجمع، والآخر يسوقهم، لئلا يفرط منهم، ولا يسير أحد بدون قيادة.

وهكذا ساروا بكل سرعة وهدوء، حذرين خائفين، وإن جاسوساً واحداً لفرعون يكفي لإدراك الطلب، وهل من الممكن أن يسير الجمع الكثير بدون أن ينتبه قبطي واحد؟

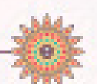
وهل من الممكن الإفلات من قبضة فرعون الحديدية، الذي كان يعتبر هؤلاء، إن ظفر بهم، عبيداً آبقين؟

وفي أثناء السير والذعر قد أخذ منهم كل مأخذ إذا بهم يصطدمون بالبحر يا لها من مفاجأة! ماذا يصنعون؟

هل يرجعون أو يبقون؟

وكلا الأمرين فيه خطرٌ وأي خطر؟

لا بد وأن يدركهم فرعون، وهناك العذاب والتنكيل، لمّا رأوا البحر أمامهم،

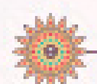


﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾[1] يدركنا فرعون وجنوده، ﴿قَالَ﴾ موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ يحفظني، ولا يكلني إلى الأعداء فـ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ طريق الخلاص ممّا أمامنا من البحر، وممّا وراءنا من فرعون، وهنا جاءتهم النجدة من الله تعالى، فأوحى إلى موسى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾[2] أي: لا تخاف دركًا من فرعون فلن يصل إليك، ولا تخاف من البحر أن تغرق أنت وقومك فيه.

ولما حصل انفلاق البحر وسار في طرقه موسى ومن معه حصل ما أخبرنا الله به بقوله تعالى: ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤﴾[3]. أي: قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدنيناهم إليه فدخلوا فيه على أثر بني إسرائيل ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦﴾[4] أي: أنجينا موسى ومن معه فلم يهلك منهم أحد، وأغرقنا الآخرين بإطباق البحر عليهم فهلكوا جميعًا بالغرق، والذين كانوا مع فرعون جنوده الذين جمعهم، كما جاء في آية أخرى ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[5] وكما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾[6][7].

***

(١) سورة الشعراء، الآية ٦١.
(٢) سورة طه، الآية ٧٧.
(٣) سورة الشعراء، الآية ٦٤.
(٤) سورة الشعراء، الآيات ٦٤-٦٥.
(٥) سورة القصص، الآية ٤٠.
(٦) سورة طه، الآية ٧٨.
(٧) المستفاد من قصص القرآن: (ص ٢٤١).



﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾[1]

### تبدأ القصة بمشهد الدعاء دعاء زكريا لربه في ضراعة وفي خفية:

قال سيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذ نادى ربه نداء خفياً ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾[2].

إنه يناجي ربه بعيداً عن عيون الناس، وبعيداً عن أسماعهم في عزلة يخلص فيها لربه، ويكشف له عما يثقل كاهله ويكرب صدره ويناديه في قرب واتصال: ﴿رَبِّ﴾ بلا واسطه حتى ولا حرف النداء. وإن ربه ليسمع ويرى من غير دعاء ولا نداء ولكن المكروب يستريح إلى البث، ويحتاج إلى الشكوى، والله الرحيم بعباده يعرف ذلك من فطرة البشر.

فيستحب لهم أن يدعوه وأن يبثوه ما تضيق به صدورهم ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3] ليريحوا أعصابهم من العبء المرهق، ولتطمئن قلوبهم إلى أنهم قد عهدوا بأعبائهم إلى من هو أقوى وأقدر، ليستشعروا صلتهم بالجناب الذي لا يضام من يلجأ إليه، ولا يخيب من يتوكل عليه.

وزكريا يشكوا إلى ربه وهن العظم، ويشكو إليه اشتعال الرأس شيبا، ويشكو

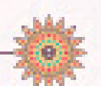
---

(١) سورة غافر، الآية ٦٠.

(٢) سورة مريم، الآيات ٤-٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٨٩.





إلى ربه وهو يعرض عليه حاله ورجاءه.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾[(1)] تم ترتسم لحظة الاستجابة في رعاية وعطف ورضى.. فالرب ينادي عبده في الملأ الأعلى ﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾[(2)] ويعجل له البشرى ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾[(3)] ويغمره بالعطف فيختار له اسم الغلام الذي بشره به ﴿ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧﴾[(4)].

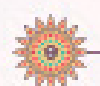
إنه فيض الكرم الإلهي يغدقه على عبده الذي دعاه في ضراعة، وناجاه في خفية، وكشف له عما يخشى وتوجه إليه فيما يرجو».

وكأنما أفاق زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من غمرة الرغبة وحرارة الرجاء، على هذه الاستجابة القريبة للدعاء. فإذا هو يواجه الواقع إنه رجل شيخ بلغ من الكبر عتياً، وهن عظمه واشتعل شيبه، وامرأته عاقر لم تلد له في فتوته وصباه فكيف يا ترى سيكون له غلام؟ إنه ليريد أن تطمئن ويعرف الوسيلة التي يرزقه الله بها هذا الغلام:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨﴾[(5)] هنا يأتيه الجواب عن سؤاله أن هذا هين على الله سهل ويذكره بمثل قريب في نفسه في خلقته هو قال: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩﴾[(6)] وليس في الخلق هين وصعب على الله ووسيلة الخلق للصغير والكبير وللحقير والجليل واحدة «كُن فَيَكُونُ».

---

(1) سورة الأنبياء، الآية ٩٠.
(2) سورة مريم، الآية ٧.
(3) سورة مريم، الآية ٧.
(4) سورة مريم، الآية ٧.
(5) سورة مريم، الآية ٨.
(6) سورة مريم، الآية ٩.



والله هو الذي جعل العاقر لا تلد، وجعل الشيخ الفاني لا ينسل، وهو قادر على إصلاح العاقر وإزالة سبب العقم، وتجديد قوة الإخصاب في الرجل، وهو أهون في اعتبار الناس من إنشاء الحياة ابتداء، وإن كان كل شيء هيناً على القدرة، وإعادة أو إنشاء)[1].

❊❊❊

(١) ظلال القرآن (٤/ ٢٣٠٢/ ٢٣٠٣).

## ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾[1]

* كلَّما انتابك شعور الانهزام أمام شيء ما في هذه الحياة، تذكَّر أن ربَّنا هو الله، الله الذي خلقنا وأوجدنا وكُل شيء دونه فهو هيِّنٌ عليه، وأنه قال بعزته: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾.

* مُصابك الذي يُؤلمك!!. حزنك الذي يكبت بصدرك! كدرك الذي يتغشّاك هو هين على الله لإخراجهِ من قلبك تلك هي الثقة بالله، لا تحزن مادام الله ربك ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾.

* لا تفكر في صعوبة ظرفك، ولكن فكر في قوة وقدرة من تدعوه، فمهما بدت لك الأمور مستحيلة تذكر قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾.

* كل عسير على الله يسير، وكل ضيق يعقبه فرج قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾.

* «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً».

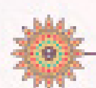
■ **قال الامام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

| | |
|---|---|
| **ولـرب نازلـةٍ يضيـق بهـا الفتـى** | **ذرعـًا وعند الله منها المخرج** |
| **ضاقت فلما اسـتحكمت حلقاتها** | **فـرجت وكـنت أظنها لا تفرج** |

* أمام قدرة الله العظيم: يتقزّم كل حُلمٍ عظيم.

* إذا حاصرَكَ العُسرُ من كلِّ الجهات فاعلم أن اليُسرَ يختبئ في زوايا قريبة

(١) سورة مريم، الآية ٩.



منك لا يأتي العسر إلا مصحوباً باليُسرِ وإن تقَدَّمَهُ بمراحل زمنيَّة فإن دخل العسر جحراً دخل اليسر معه لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥﴾[1] ولم يقل بعد العسر يسرا تأكيداً على أن العسر لابدَّ أن يجاوره يسر فالعسر لا يخلو من يسر يصاحبه ويلازمه.

إذا ضاقت بك الدنيا ففكر في «ألم نشرح»
فعسر بين يسرين متى تذكرهما تفرح

والمسلم لا ينسَ أن العطاء قد يكون في المنع وأن وراء كل محنة منحة، ونحن نعلم يقيناً أن الله سبحانه لم يبتلينا ليعذبنا، بل ليرحمنا، فمهما كان الابتلاء شديدا فلا بد أن يكون وراءه خيراً كثيراً.

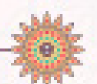
قد تخفى علينا الحكمة منه ولا نعلم بذلك إلا بعد مرور تلك الشدة والابتلاء، وخير مثال على ذلك قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين تحدث عن أناس وجدوا في المصائب جمالاً كما وجدوها في النعم حيث أن الكل من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن رحمته عَزَّوَجَلَّ أن نغّص عليهم الدنيا وكدّرها، لئلَّا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا في النّعيم المُقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنَعهم ليُعطيَهُم، وابتلاهُم ليُعافيَهُم، وأماتهم ليُحييَهُم»[2].

■ **وما أجمل قول الشاعر حين قال:**

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

(١) سورة الشرح، الآية ٥.
(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: (٢/ ١٧٥).



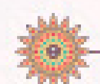
وأجمل من ذلك كله قول الحق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾[1].

وفي الحديث عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قَالَ:قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[2].

❊❊❊

(١) سورة النساء، الآية ١٩.

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٧/ ٤٦) برقم: (٧٤٣٩) والترمذي في "جامعه" (٤/ ٢٠٣) برقم: (٢٣٩٨) وأحمد في "مسنده" (١/ ٣٧٠) برقم: (١٤٩٩)، (١/ ٣٧٤) برقم: (١٥١٢)، (١/ ٣٨٧).



## إمام المتقين وخير المرسلين

فهذا نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لما رفضه أهل مكة القريب والبعيد وتآمروا عليه ذهب إلى أهل الطائف، فما وجد عندهم إلا كل رد سيء، فسبوه وشتموه وآذوه وطردوه وأخرجوه بأبي هو وأمي، فلم يكونوا أحسن حالا من أهل مكة، فذهب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يخفق برأسه من الهم والغم ويسير على غير هدى في الطريق، حتى وصل إلى قرن الثعالب (موضع بعيد خارج مكة)، من الهم والغم الذي ركبه، فما نصره من يتكمن من نصرته لتبليغ الدين ولا آووه، جاء في رواية الطبراني في الكبير قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني عن الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك**»[1] فنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ شكى إلى الله أمر الدين واجتماع الأعداء وتكالب الخصوم وقلة الناصر وضعف المعين.

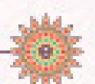
■ **قال الشاعر:**

كم قامَ ليلاً باكيًا وحزينا ... ملأ الفضاء تضرُّعًا وأنينا

يدعو الإلهَ يقولُ ربّيَ أمّتي ... اغفرْ لها حتى تَحوزَ نعيما

يا أيها الراجونَ وصْلَ حبيبِكم ... (صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما)

(١) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٩/ ١٨٠) برقم: (١٦١) والطبراني في "الكبير" (١٤/ ١٣٩) برقم: (١٤٧٦٤).



## ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1]

**«يَا أَبا بَكْرٍ مَا ظَنّكَ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا»**

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾[2].

**قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: (إلا تنصروا رسوله محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فالله غني عنكم، لا تضرونه شيئًا، فقد نصره في أقل ما يكون وأذله ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في ذلك، وحرصوا أشد الحرص، فألجأوه إلى أن يخرج).

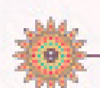
﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي: هو وأبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ. ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ أي: لما هربا من مكة، لجآ إلى غار ثور في أسفل مكة، فمكثا فيه ليبرد عنهما الطلب.

فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال.

إذ يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لصاحبه أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ لما حزن واشتد قلقه، ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بعونه ونصره وتأييده. ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ أي: الثبات والطمأنينة، والسكون المثبتة للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤٠.
(٢) سورة التوبة، الآية ٤٠.



سكنه ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ وهي الملائكة الكرام، الذين جعلهم الله حرسا له، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰ﴾ أي: الساقطة المخذولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين، في ظنهم على قتل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأخذه، حنقين عليه، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا شيئًا منه.

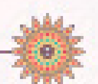
**ونصر الله رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على قسمين:**

* **الأول**: نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم بأن يتم الله لهم ما طلبوا، وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم.
* **والثاني**: نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر الله إياه، أن يرد عنه عدوه، ويدافع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع)[1].

وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى -إذا نزل بالعبد- أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة.

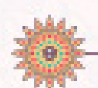
(١) تفسير السعدي: سورة التوبة: (ص/ ٣٨٥).



■ قال أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

قَـالَ النَّبِـيُّ وَلَـمْ أَجْـزَعْ يُوَقِّرُنِـي ... وَنَحْنُ فِي شِـدَّةٍ مِنْ ظُلْمَةِ الْغَارِ
لاَ تَخْـشَ شَـيْئًا فَـإِنَّ اللهَ ثَالِثُنَـا ... وَقَـدْ تَـوَكَّـلَ لِـي مِـنْـهُ بِـإِظْـهَـارِ
حَتَّـى إِذَا اللَّيْـلُ وَارَانَـا جَوَانِبُـهُ ... وَصَارَ مِنْ دُونِ مَنْ يَخْشَى بِأَسْتَارِ
سَـارَ الْأُرَيْقِـطُ يَهْدِينَـا وَأَيْنُقُنَـا ... يَنْعَبْنَ بِالْقَوْمِ نَعْبًا تَحْتَ أَكْـوَارِ
حَتَّـى إِذَا قُلْتُ قَدْ أَنْجَـدْنَ عَارَضَنَا ... مِنْ مُدْلِجٍ فَارِسٌ فِي مَنْصِبٍ وَارِي
فَقَـالَ كُـرُّوا فَقُلْنَـا إِنَّ كَرَّتَنَـا ... مِنْ دُونِهَا لَكَ إِنْ لَمْ يَعْثُرِ الضَّارِي
أَنْ تُخْسَفَ الْأَرْضُ بِالْأَحْوَى وَصَاحِبِهِ ... فَانْظُرْ إِلَى أَرْبَعٍ فِي الْأَرْضِ غُوَّارِ
يَقُـولُ لَمَّـا رَأَى أَرْسَـاغَ مُهْرَتِـهِ ... قَدْ سُخْنَ فِي الْأَرْضِ لَمْ تُحْفَرْ بِمِحْفَارِ
يَا قَـوْمِ هَلْ لَكُمُ أَنْ تُطْلِقُوا فَرَسِـي ... وَتَأْخُذُوا مَوْثِقِي فِي نُصْحِ أَسْرَارِي
فَقَـالَ قَـوْلاً رَسُـولُ اللهِ مُجْتَهِـدًا ... يَا رَبِّ إِنْ كَانَ هَذَا غَيْرَ إِخْفَارِي
فَنَجِّـهِ سَـالِمًا مِـنْ شَـرِّ دَعْوَتِنَـا ... وَمُـهْـرَهُ طَلِقًا مِـنْ خَـوْفِ آثَـارِ
فَأَظْهَـرَ اللهُ إِذْ يَدْعُـو حَوَافِـرَهُ ... وَفَـازَ فَـارِسُـهُ مِـنْ هَـوْلِ أَخْطَارِ»

❋❋❋



## الابتلاءات وصبر الانبياء

وقد تعرض عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لجميع أنواع الابتلاءات التي يمكن أن يتعرض لها إنسان في هذه الحياة والتي تعرض لها الرسل جميعاً ومن هذه الابتلاءات، صبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ على الاضطهاد والتعذيب والإيذاء والتجويع والسخرية والردود القبيحة عليه والإهانات المتوالية وكل ما أصيب به هو، أصيب به أتباعه والأذى الذي لحق به لحق بأقاربه.

صبرٌ في مواطن القتال ولعل أبرز مواقفه الصابرة في الحرب موقفه يوم أحد ويوم الخندق.

وابتلي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بمصيبة الموت في أولاده وأقاربه وأصحابه فصبر فضلاً عن أنه ولد يتيماً وتوفيت والدته وهو في السادسة من عمره وابتلي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالمرض والجوع والفقر فصبر.

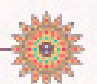
وابتلي في عرضه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فصبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾(١).

■ **قال حسان بن ثابت** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ:

| | |
|---|---|
| هَجَــوْتَ مُحَـمَّـدًا فَـأَجَبْتُ عَنْهُ | وَعِنْـدَ اللـه فـي ذاكَ الجَزَاءُ |
| فَــإِنَّ أبــي وَوَالِـدَهُ وَعِرْضـي | لِعِـرْضِ مُحـمّدٍ مِنْكُـمْ وقـاءُ |
| أَتَشْــتُمُهُ وَلَسْـتَ لَـهُ بِكُـفءٍ | فَشَـرُّكُما لِخَيْرِكُمـا الفِـداءُ |
| لِســانِي صَــارِمٌ لا عَيْــبَ فِيـه | وبَحْـري لا تُكَـدّرهُ الـدّلاءُ |

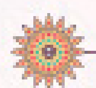
---

(١) سورة النور، الآية ١١.



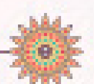
## عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا وقصة الإفك

فدعا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عليّ بن أبي طالب، وأُسامة بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أُسامة، فأشار على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي في نفسه من الود فقال: يا رسول الله، هم أهلك، ولا نعلم إلا خيرا. وأما عليّ فقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، يعني: بريرة، فدعا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بَرِيرة، فقال: «هَلْ رأَيْت مِنْ شَيء يَرِيبُكِ مِنْ عائِشَةَ؟» قالت له بريرة: والذي بعثك بالحقّ، ما رأيت عليها أمرا قطّ أغمصه عليها، أكثر من أنها حديثة السنّ، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «مَنْ يَعْذُرُني مِمَّنْ قَدْ بَلَغني أذاهُ في أهْلِي؟» يعني عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، وقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو على المنبر أيضا: «يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذُرُني مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغني أذاهُ في أهْلِي؟ فَوَاللهِ ما عَلِمْتُ عَلى أهْلِي إلا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً ما عَلِمْتُ عَلَيْه إلا خَيْرًا، وما كانَ يَدْخُل على أهْلِي إلا مَعي» فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك؛ فقام سعد بن عبادة، فقال، وهو سيد الخزرج، وكان رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال: أي سعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عمة سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قائم على



المنبر، فلم يزل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يخفضهم حتى سكتوا، ثم أتاني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأنا في بيت أبويّ، فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي؛ قالت: فبينا نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ثم جلس عندي، ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل، وقد لبث شهرا لا يوحَى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حين جلس، ثم قال: «أمَّا بَعْدُ يَا عائِشَةُ، فإنَّهُ بَلَغَني عَنْكِ كَذَا وكَذَا، فإنْ كُنْت بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وإن كُنْتِ ألمَمْت بِذَنْبٍ، فاسْتَغْفِري اللهَ، وَتُوبِي إلَيْهِ، فإنَّ العَبْدَ إذَا اعْتَرَف بِذَنْبِهِ ثُمَّ تابَ، تابَ اللهُ عَلَيْهِ». فلما قضى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مقالته، قلص دمعي، حتى ما أحسّ منه دمعة، قلت لأبي: أجب عني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فقلت: وأنا جارية حديثة السنّ لا أقرأ كثيرًا من القرآن: إني والله قد عرفت أن قد سمعتم بهذا، حتى استقرّ في أنفسكم، حتى كدتم أن تصدِّقوا به، فإن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدّقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[1] ثم تولّيت واضطجعت على فراشي، وأنا والله أعلمُ أني بريئة، وأن الله سيبرّئني ببراءتي، ولكني والله ما كنت أظنّ أن ينزل في شأني وحي يُتلى، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في المنام رؤيا يبرّئني الله بها، قالت: والله ما رام رسول الله

(١) سورة يوسف، الآية ١٨.



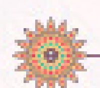
صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلسه، ولا خرج من البيت أحد حتى أنـزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي، من ثقل القول الذي أُنـزل عليه، قالت: فلما سُرِّيَ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يضحك، كان أوّل كلمة تكلم بها أن قال: «أَبْشِرِي يا عائِشَةُ، إِنَّ اللهَ قَدْ برَّأَك!» فقالت لي أمي، قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنـزل براءتي. فأنـزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ﴾[1] عشر آيات، فأنـزل هذه الآيات براءة لي. قالت: فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: فأنـزل الله: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾[2] حتى بلغ: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[3] فقال أبو بكر: إني لأحبّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنـزعها منه أبدا.

❋❋❋

(١) سورة النور، الآية ١١.

(٢) سورة النور، الآية ٢٢.

(٣) سورة النور، الآية ٢٢.



## قصة الوشاح

روت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قصة صحابية جليلة، كما ورد في صحيح الإمام البخاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، كانت - امرأة جاريةُ سوداء - بعد إسلامها - تبيتُ في المسجد، وكان لها فيه حِفْشٌ[1]، وكانت تزور أمَّ المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا تحدث عندها، وكلما فرغت من حديثها - في كل مجلس - كانت تتمثل ببيت من الشعر، تختم به كلامها فتقول:

وَيَوْمُ الوِشَـاحِ مِـنْ تَعَاجِيـبِ رَبِّنَا ... أَلاَ إِنَّـهُ مِنْ بَلْدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانِي

فلما أكثرت من ذِكر هذا البيت، سألَتْها أمُّنا عائشةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: وما يوم الوشاحِ؟![2]

حيث قال: كان في أحد أحياء العرب القديمة أسرة من الأغنياء، لديها جارية سوداء تقوم على خدمة أفرادها، وقد أعتقوها.

وكانت تلك الجارية لا تمتلك بيتًا تذهب إليه، فبقيت تعيش معهم تخدمهم مقابل طعامها.

وفي أحد الأيام خرجت صبية من بنات هذه الأسرة، إلى الحمام، وعليها وشاح أحمر، ووضعته خارج الحمام، ثم مرت حدأة[3]، فحسبته لحمًا، فاختطفته وطارت به بعيدًا في الفضاء.

---

(١) البيت الصغير.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/ ٩٥) برقم: (٤٣٩)، (٥/ ٤٢) برقم: (٣٨٣٥).

(٣) طائر من الجوارح ينقضُّ على الجِرذان والدواجن والأطعمة ونحوها.

فلما خرجت الصبية بحثت عن وشاحها فلم تجده، فصاحت بأهلها، فبحثوا عنه ولم يجدوه، فما كان منهم إلا أنهم اتهموا تلك الجارية بسرقته، وقاموا بتفتيشها وتهديدها وتعذيبها.. حتى إنهم بحثوا عن الوشاح في خبايا ملابسها..

وكانت ساعة كرب وشدة، أحست فيها الجارية بالمهانة والظلم، وضاقت بها السبل، فليست ذات نسب تحتمي به، ولا ذات قرابة تستنجد بهم، وليس بها قوة فتدفع عن نفسها..

فلم تجد الجارية نصيرًا تستنصره، أو مغيثًا تستصرخه إلا ربّها الذي خلقها، بعد أن عجزت آلهة قومها وأصنامهم عن نجدتها.

توجهت الجارية إلى الله تعالى بأشد ما يكون الاضطرار، تدعوه أن يظهر براءتها ويخلّصها من كربها.. فأجابها الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، فجاء الفرج أسرع مما أمّلت وألطف مما قدّرت..

إذ بالحدأة تعود وتلقي الوشاح عليهم، وهكذا ظهرت براءتها، فأخذوا وشاح ابنتهم..

في لحظات منيرات أشرقت شمسُ الفرَج على ليلِ تلك الجارية المسكينة!

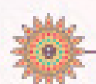
فرأت بعين القلب طريقَها! فمضتْ فيه إلى ربِّها راضية هنية!

■ **قال علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

إِذَا اشْـتَمَلَتْ عَلَى الْيَـأْسِ الْقُلُوبُ ... وَضَـاقَ بِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ

وَأَوْطَنَـتِ الْمَـكَارِهُ وَاطْمَأَنَّـتْ ... وَأَرْسَـتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ

وَلَـمْ تَـرَ لانْكِشَـافِ الضُّـرِّ وَجْهًا ... وَلاَ أَغْـنَـى بِحِيلَتِهِ الأَرِيـبُ



أَتَـاكَ عَلَـى قُنُـوطٍ مِنْـكَ غَـوْثٌ ... يَـمُـنُّ بِـهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ

وَكُلُّ الْحَادِثَـاتِ إِذَا تَنَاهَـــتْ ... فَـمَـوْصُـولٌ بِـهَـا فَــرَجٌ قَـرِيـبُ

فصاحت الجارية اتهمتموني به وها هو ذا أمامكم؛ ولأنها كانت قد أعتقت فقررت الهجرة من بلدتها.. بعد أن أثّر فيها هذا الموقف أيما تأثير.. ولكن أين تذهب؟؟؟

اتجهت الجارية صوب المدينة المنورة.. إلى طيبة الطيبة، وهناك ذهبت إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وأعلنت إسلامها بين يديه، وسكنت في خباء في المسجد، وكانت تنشد هذه الأبيات:

ويَوْمُ الْوِشَـاحِ مِـنْ أعَاجِيـبِ رَبِّنَا ... إلَا إِنَّـهُ مِـنْ بَلْدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانِي

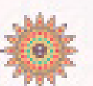
وتلفتت تلك المسكينةُ بقلبها ذات اليمين وذات الشمال، فلم ترَ إلا ملجأ فردًا، وبابًا واحدًا مفتوحًا لا يغلق أبدًا!

■ **قال الامام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولـرُبَّ نازلـةٍ يضيـقُ بهـا الفتـى ... ذَرْعًـا وعند اللهِ منها المَخرَجُ

ضاقَتْ فلما اسـتحكمتْ حلْقاتُها ... فُـرِجـتْ، وكـان يظنُّها لا تُفرجُ

❊❊❊



﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾[1]

كلنا يعرف قصة الثلاثة الذين دخلوا كهفًا فسقطت صخرة ضخمة فأغلقت الكهف ولم يستطيعوا زحزحتها ليخرجوا فأيقنوا بالهلاك، ثم قرروا الاستعانة بالدعاء الخالص لله تعالى مع ذكر عمل صالح قاموا به خالصًا لله ...

فكان سببًا لخروجهم من الكهف ونجاتهم من الهلاك.

■ **الشاعر الدكتور مروان عرنوس:**

نادى المحب بليله ربــــاه ... أسماؤك الحسنى تلت شفتاه

ويذرف الدمعات يفجرها الدجى ... يا طالما جادت بها عيناه

وبلاؤه نحت الردى بعظامه ... والهم في لجج الشقا أشقاه

رحمن هذا الكون أنت رحيمنا ... أنت العزيز وذل من عاداه

ملك و قدوس سلام مؤمن ... ومهيمن يا فوز من أرضاه

فالله جبار قوي واحد ... متكبر للكبرياء رداه

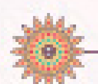
هو خالق هو بارئ و مصور ... والله غفار لمن لباه

## ماذا طلب أصحاب الكهف من ربهم؟

* أتدري ماذا طلب أصحاب الكهف من ربهم حينما لجئوا إلى الكهف وهم في شدة البلاء والملاحقة؟!

---

(١) سورة الكهف، الآية ١٠.



* إنهم سألوا الله «الرُشد» دون أن يسألوه النصر، ولا الظفر، ولا التمكين.
* ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾[1].

### وماذا طلب الجن من ربهم لما سمعوا القرآن أول مرة؟

* طلبوا «الرشد» فقالوا: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾[2].
* وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[3].

### «الرشد» فما هو الرشد؟

**» الرشد هو:**

* إصابة وجه الحقيقة.
* هو السداد.
* هو السير في الاتجاه الصحيح.

فإذا أرشدك الله فقد أوتيت خيراً عظيماً، وبوركت دائماً: ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية ١٠.
(٢) سورة الجن، الآيات ١-٢.
(٣) سورة الكهف، الآية ٢٤.
(٤)

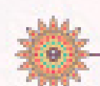
فبالرشد تختصر المراحل، وتختزل الكثير من المعاناة، وتتعاظم النتائج، حين يكون الله لك «وليـاً مرشدا» وحين بلغ موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الرجل الصالح (الخضر) لم يطلب منه إلا أمراً واحداً وهو ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾[1]. «رُشدا».

وعندما يهيئ المولى سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أسباب الرشد لنا فإنه قد هيئ لنا أسباب الوصول للنجاح الدنيوي والفلاح الأخروي.

«فاللهم هيئ لنا من أمرِنا رشدا»

❊❊❊

(١) سورة الكهف، الآية ٦٦.



## أعظم أسباب راحة البال وطمأنينة القلب وهدوء النفس

### الصلاة

قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾[1].

لذلك كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمر صلَّى فعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمرٌ صلى**»[2].

وعن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما حكاه عن نبي من الأنبياء السابقين، وفيه: **أن هذا النبي استشار قومه، فقالوا: أنت نبي الله نَكِلُ ذلك إليك، فَخِرْ لنا، قال «فقام إلى صلاته» قال: «وكانوا يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة»** وهذا يدل على أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمر (أي نزل به أمر شديد) فزع إلى الصلاة، وكان الأنبياء قبله عادتهم الاشتغال بالصلاة في الشدائد»[3].

وعن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح»[4]

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس**»[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤٥.

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (١/ ٥٠٧) برقم: (١٣١٩) وأحمد في "مسنده" (١٠/ ٥٥٣٦). وحسنه ابن حجر والألباني وأحمد شاكر.

(٣) النسائي في "الكبرى" (٩/ ٢٢٧) برقم: (١٠٣٧٥) وأحمد في "مسنده" (٨/ ٤٣٣٦).

(٤) النسائي في "الكبرى" (١/ ٤٠٦) برقم: (٨٢٥) وأحمد في "مسنده" (١/ ٢٧٦) برقم: (١٠٣٨).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩/ ٣٠) برقم: (٦٩٨٨) ومسلم في "صحيحه" (٧/ ٥٢) برقم: (٢٢٦٣).

وهذا ابراهيم الخليل عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما حصل له ما حصل من أخذ الملك لزوجته سارة، فزع إلى الصلاة، فقام ابراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يصلي طيلة فترة غياب الزوجة عنه وهو في صلاته، وهذه من أسوأ الفترات التي يمكن أن تمر بالإنسان، وليس عنه قوةٌ لكنه كان يأوي إلى ركنٍ شديد وهو الله عَزَّوَجَلَّ، فنجا الله له زوجته سارة.

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ فهما وقود الحياة، وزاد السير، وباب الأمل. ومفتاح الفرج، ومن لزم الصبر، وحافظ على الصلاة، فبشِّره بفجر صادق وفتح مبين ونصر قريب.

ويقول المولى عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾[(١)].

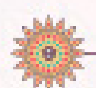
حين يخسف الله القمر «نصلي» حين تُكسف الشمس «نصلي» وحين تُجدب الأرض أيضـًا «نصلي» إذن الصلاة تحل مشاكل كونية فكيف لا تحل مشكلة شخصية.

لذلك أقم الصلاة تقم كل أمورك وتصلح جميع شؤونك ما رأيت أحداً في حياتي أقام الصلاة بوقتها وخشوعها وآدابها إلا صلحت أموره وانشرح صدره وتسهل رزقه، لأن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾[(٢)].

---

(١) سورة الحجر، الآيات ٩٧-٩٨.

(٢) سورة طه، الآية ١٣٢.



قال ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصلاة: مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، طاردة للأدواء مقوية للقلب، مبيضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوى، شارحة للصدر مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن)[1].

«فأعظم أسباب صلاح البال وراحة النفس وطمأنينة القلب الاشتغال بالصلاة».



(١) زاد المعاد (٤/ ص ٣٠٤).

## ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[1]

**«تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ»[2].

■ **قال الأصمعي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذا رأيت شاباً متعلق بأستار الكعبة وهو يقول:

يا مَن يُجيب دُعاءَ المُضطرَ في الظُلَم ... يا كاشِفَ الضرّ و البلوى مَع السَقَم

قَد نـامَ وفدُكَ حَولَ البيتِ و انتبَهُوا ... و أنـتَ يا حيُ يا قَيُوم لَـم تَنَم

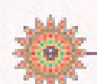
أدعـوكَ رَبـي حَزينـاً هائِمـاً قَلِقاً ... فارحَم بُكائيَ بِحق البَيتِ و الحَرَمِ

* لا تستخِفّ بالدُعاء ولا تعتقد أن كفينِ رفعتهُما ستردان لك خائبتين، الله يسمع صوتك، يعلمُ ما في قلبك؛ ويقدر على إجابة دُعائك، ولو كان بعد حين.

* شاهد سبيل النجاة من الشدائد وتفريج الكربات وإجابة الدعاء عند البلاء، أتريد راحة من كل تعب؟

(١) سورة النمل، الآية ٦٢.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢/ ٥٢) برقم: (١١٤٥)، (٨/ ٧١) برقم: (٦٣٢١)، (٩/ ١٤٣) برقم: (٧٤٩٤) ومسلم في "صحيحه" (٢/ ١٧٥) برقم: (٧٥٨)، (٢/ ١٧٥) برقم: (٧٥٨)، (٢/ ١٧٦).



* أتبغي النجاة من الشدائد؟
* هل تسعى للخلاص من كل بلاء إليك سبيل الوصول.
* يا هذا لا يمر عليك يوم لم ترفع شكواك ومناجاتك لله بالدعاء.

■ **قال أحد الصالحين:**

لا تسألن بُنيَّ آدم حاجةً ... وسل الذي أبوابه لا تُحجبُ
الله يغضبُ إن تركت سؤاله ... وبُنَيَّ آدم حينَ يُسألُ يغضبُ

■ **الامام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حتى وإن بَدَت السماءُ بعيدةً ... إنّ الذي فوقَ السماءِ قريبُ
فارفع يديكَ إلى الإلهِ مُناجيًا ... إنّ الجروح مع الدعاءِ تطيبُ
ما ضرنا بعد السماء وإن علت ... ما دمت ياربّ السماء قريب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ الله لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ؛ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»(١).

قال المنَّاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتعيَّن على من يريد النَّجاةَ مِن ورطَات الشَّدائِدِ والغمُوم؛ أنْ لا يَغفل بقلبه ولسانه عن التَّوجُّه إلى حضرة الحقّ -تقدَّس بالحمد-، والابتهال إليه، والثَّناء عليه إذ المراد بالدُّعاء في الرخاء؛ كما قاله الإمام الحليمي: دعاء الثَّناء والشُّكر، والاعتراف بالمنَنِ، وسؤال التَّوفيق والمعونة والتَّأييد، والاستغفار لعوارض التَّقصير.

---

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (١/ ٥٤٤) برقم: (٢٠٠٤) والترمذي في "جامعه" (٥/ ٣٩٣) برقم: (٣٣٨٢) وأبو يعلى في "مسنده" (١١/ ٢٨٣) وصحَّحه الألبانيُّ في السِّلسِلة الصَّحيحة.

فإنَّ العبد -وإن جَهِد- لم يوفِّ ما عليه من حقوق الله بتمامها، ومَن غَفلَ عن ذلك ولم يلاحظه في زمن صحَّته وفراغه وأمْنه؛ كان صدق عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾»[1][2] ا.هـ

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعرَّف إلى الله في الرخاء يَعْرِفْك في الشدة»[3]؛ أي: تحبَّب وتقرَّب إليه بطاعته والشكر على سابغِ نعمته والصبر تحت مُرِّ أَقْضِيَتِه وصدقِ الإلتجاء الخالص قبل نزول بليته.

«في الرخاء»؛ أي: في الدَّعَة والأمن والنعمة، وسعة العمر، وصحَّة البدن، فالزم الطاعات، والإنفاق في القربات حتى تكون متصفًا عنده بذلك، معروفًا به.

«يَعْرِفْك في الشدة»: بتفريجِها عنك، وجعله لك من كلِّ ضيق مخرجًا، ومن كلِّ همٍّ فرجًا بما سلف من ذلك التعرف، كما وقع للثلاثة الذين آوَوْا إلى الغار، فإذا تعرَّفت إليه في الرخاء والاختيار جازاك عليه عند الشدائد والاضطرار بمدد توفيقه وخَفِيِّ لُطْفِه.

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: مَرَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: «مَا لِي أَرَاكَ مَغْمُومًا؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: ذَلِكَ لِدَيْنٍ قَدْ فَدَحَهُ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: «أَفُتِحَ لَهُ فِي الدُّعَاءِ، قَالَ: نَعَمْ فَقَالَ: «لَقَدْ بُورِكَ لِعَبْدٍ مِنْ حَاجَةٍ أَكْثَرَ فِيهَا دُعَاءَ رَبِّهِ كَائِنَةً مَا كَانَتْ»[4].

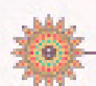
---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٥.

(٢) فيض القدير (٦/ ١٩٤).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤/ ٢٨٤) برقم: (٢٥١٦) وأحمد في "مسنده" (٢/ ٦٤٨) برقم: (٢٧١٣)..

(٤) شعب الإيمان: (رقم ٩٥٥٨).



فما أشد حاجتنا إلى الدعاء!

بل ما أعظم ضرورتنا إليه!

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦﴾[2].

فتعرف إلى الله في حال صحتك وفي حال غناك وفي حال سلامتك وفي حال معافاتك، وأكثر من ذكره، ولا تمل من دعائه واسمعه صوتك ومناجاتك فإذا ما نزل البلاء استجيب الدعاء فالصوت مألوف من عبد معروف.

■ **قال الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

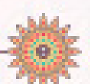
**إن الكريـمَ إذا ناديـت قـال: نعـم فكيف بالله ذي الإنعامِ والكرمِ؟**

**فابسـط له الكفَ لـن تأتيك فارغة فقد سألت الذي سواك من عدمِ**



(١) سورة غافر، الآية ٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٦.



## ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾[1]

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[2].

وَعَنْ أبي يَحْيى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجباً لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ للْمُؤْمِن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ»[3].

نعم الصبر من أفضل صفات المؤمنين وأعلاها منزلة والفائز هو من تحلى به. فرغم مرارته إلا أن ثماره حلوة رائعة.

■ **وقيل:**

والصبر مثل اسمه مرَّ مذاقته ... لكن عواقبه أحلى من العسل

**قال بعض السلف وقد عُزي على مصيبةٍ أصابته، فقال:** مالي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال، كل خصلةٍ منها خيرٌ من الدنيا وما عليها.

■ **وقال الشاعر علي بن جهم:**

وعاقبة الصبر الجميل جميلة ... وأفضل أخلاق الرجال التفضل

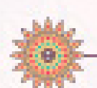
ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ... ولكن عار أن يزول التجمل

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآيات ١٥٥-١٥٦.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨/ ٢٢٧) برقم: (٢٩٩٩).



روى البخاري في صحيحه بسنده عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «ألا أُرِيكَ امرأةً من أهلِ الجنةِ؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقالت: إني أُصرَع، وإني أتكشَّف، فادعُ الله لي، قال: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ ولكِ الجنةُ، وإن شئت دعوتُ الله أن يعافِيَكِ»، فقالت: أصبرُ، فقالتْ: إني أتكشَّفُ، فادعُ الله أن لا أتكشَّف، فدعا لها»[1].

■ **وقال الاخر:**

| | |
|---|---|
| إذا أرهقتك هموم الحياة | ومسك منها عظيم الضرر |
| وذقت الأمرين حتى بكيت | وضج فؤادك حتى انفجر |
| وسدت بوجهك كل الدروب | وأوشكت أن تسقط بين الحفر |
| فيمم إلى الله في لهفة | وبث الشكاة لرب البشر |

قد ثبت عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِم يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا. قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ»[2].

قال الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ: «لا تكرهوا البلايا الواقعة، والنقمات الحادثة، فلَرُبَّ أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرُبّ أمر تؤثره فيه عطبك» أي: هلاكك.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧/ ١١٦) برقم: (٥٦٥٢) ومسلم في "صحيحه" (٨/ ١٦) برقم: (٢٥٧٦)

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (١/ ٤٩٣) برقم: (١٨٢٢) وأحمد في "مسنده" (٥/ ٢٣١٧) برقم: (١١٣٠٢).

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البلايا ضيوف، فأحسن قِراها حتى تَرحل إلى بلاد الجزاء مادحة لا قادحة، فلولا البلايا لوردنا القيامة مفاليس ولو فتحت لك أستار الغيب لأحببتَ حزنك، ولو رأيت كيف يُغرف للصّابر غرفًا من الثواب، لانتشى قلبك وتلذذت بكّل وخزة ألم»[١].

■ قال أحد الصالحين:

وكُلُّ بـابٍ وإنْ طالـتْ مَـغالِقُـهُ ... يومًا لهُ من جميلِ الصَّبرِ مفتاحُ

كـم مِن كروبٍ ظنَنّـا لا انفراجَ لها ... حتّى رأيـنا جليلَ الـهـمِّ ينزاحُ

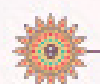
فاصبـر لربِّـكَ لا تيـأس فرحمتُـهُ ... للخلقِ ظـلٌّ ولـلأيَّـامِ إصباح

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا بد للمؤمن من صبر قليل حتى يصل به إلى راحة طويلة)[٢].

قال معروف الكرخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الله ليبتلي عبده المؤمن بالأسقام والأوجاع فيشكو إلى أصحابه فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: وعزتي وجلالي ما ابتليتك بهذه الأوجاع والأسقام إلا لأغسلك من الذنوب فلا تشكني)[٣].

❊❊❊

(١) كتاب المدهش لابن الجوزي: (١/ ٣٧٤).
(٢) مجموعة رسائل ابن رجب: (٣/ ٣٥).
(٣) المرض والكفارات: (ص ١٧٧).



## أحسن الظن بالله

* ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾[1].
* ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾[2].

يقولُ ابن مَسعُود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «قسماً بالله ما ظنَّ أحدٌ باللهِ ظناً؛ إلّا أعطَاه ما يظنُّ».

اللهم إنا نظن بك غفرانًا، وعفواً، وتوفيقًا، ونصراً، وثابتًا، وتيسيراً، وسعادة، ورزقًا، وشفاء وحسن خاتمة.

■ قال الامام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قُل للذي مَلأ التشاؤمُ قلبَهُ ومضى يُضيِّقُ حولنا الآفاقا

سرُّ السعادةِ حسنُ ظنك بالذي خلق الحياةَ وقسَّم الأرزاقا

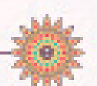
***

### عند الشدائد والكرب:

فإن الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في تبوك لم يُكشف عنهم ما بهم من كرب وضيق إلا أنه أحسنوا الظن بربهم قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ

(١) سورة الصافات، الآية ٨٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.



مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[1].

وتأمل في قوله وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فلما أحسنوا الظن بالله رزقهم الله إياه.

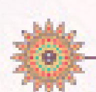
يبدأ الصحابي الجليل كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان تفاصيل هذه القصة، ويعترف بأنه لا عذر له في تخلفه، لأنه كان يملك الزاد والراحلة، فيقول: «وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة».

ويتحدث عن الشدة التي كان يعاني منها الصحابة الكرام في زمن تلك الغزوة، فيقول: «فغزاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حر شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا، واستقبل عدوًا كثيرًا».

ويستمر في ذكر أحداث القصة حتى يصل إلى موعد اللقاء مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد عودته منتصراً من تبوك، ويتحدث عن اعتذار غيره من المتخلفين عن أسباب تخلفهم، وكيف كانوا يأتون بالحجج التي تجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل منهم أعذارهم، بينما هو لم يعتذر كما اعتذر غيره، رغم أنه كان قادرًا على صنع ذلك، قال: «**فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال**

---

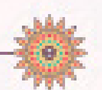
(١) سورة التوبة، الآيات ١١٧-١١٨.



لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» قال: قلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يُسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه إني لأرجو فيه عقبى الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك».

هكذا كان يتكلم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ بكل قوة وجرأة، لم يعتذر كما اعتذر غيره، ولم يُنافق كما نافق الآخرون، إنما صدع بالحق، وجاء على ذكر الحقيقة كما هي، فجاء تصديق ذلك من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك».

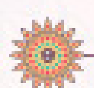
وهنا تبدأ أول مراحل الابتلاء، تمثل ذلك في نصائح المحبين له من أقاربه وأصحابه، قال: «وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنبًا قبل هذا، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بما اعتذر به إليه المخلّفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لك»، نعم طلبوا منه أن يفعل كما فعل غيره، وحجتهم في ذلك أن استغفار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يكفيه، فكان من شدة إلحاحهم عليه أنه فكر في التراجع، قال: «فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فأكذب نفسي»، ولكن الله ثبت قلبه، وزاد من ثباته أنه تذكر أمرًا في غاية الأهمية، قال: «ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك»...



نعم إن وطأة هذا الأمر وشدته تقل مع وجود أقران مشاركين له فيه، فإن كان مثل هذا الأمر الذي حصل معه قد حصل مع غيره فهذا يخفف عنه، خاصة إذا كان هؤلاء من المعروفين بصدقهم وصلاحهم، قال: «قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي»، فلما عرفهما وتبين له صلاحهما وصدقهما اطمأنت نفسه، وقلل هذا من شدة ألمه، حيث قال: «فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة، قال: فمضيت حين ذكروهما لي».

ثم كان الابتلاء الثاني المقاطعة، مقاطعة المجتمع له بكل فئاته، حيث نهى رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كافة المسلمين عن التعامل معهم، وكان ذلك شديداً عليهم، وصف ذلك بقوله: «حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف»، واستمرت المقاطعة بكل ثقلها وآلامها خمسين يومًا، ذاق فيها كعبٌ وأصحابه من المصاعب ما ذواقوا، عبر عن بعض ذلك فقال: «فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحدٌ، وآتي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إليَّ، وإذا التفتُ نحوه أعرض عني».

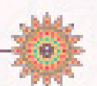
وهكذا تستمر القصة بلياليها الطويلة، اضطروا فيها إلى ضرورة الانعزال عن الناس، لأنه أخف عليهم، قال: «حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وهو ابن عمي، وأحب الناس إليَّ، فسلمت عليه، فوالله ما ردَّ عليَّ السلام».



ويزداد الألم حتى أصبح كعب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يشك في نفسه، فيبحث عن إجابات يدحض بها هذا الشك عن نفسه عند أعز الناس عليه -ابن عمه أبي قتادة- ولكن أحدًا من المسلمين لا يمكنه أن يخالف أمر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قال: «**فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمن أني أحب الله رسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار**».

وبعد هذه المقابلة الصعبة، وعقب هذا اللقاء القاسي المرير مع أبي قتادة، جاءه الابتلاء الثالث، الذي عبر عنه بقوله: «**وبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: فطفق الناس يشيرون له إليَّ حتى جاءني فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسان، وكنت كاتبًا فقرأته فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك**».

نعم لقد استغل ملك غسان هذه الظروف التي يمر فيها كعب، لأنه يعلم أبعاد مثل هذا الطلب، ويعلم ما يعنيه استمالة قلبه في هذه الحالة، فكعبٌ له مكانته في المجتمع، إذ معروفًا بشعره ومكانته، ويعلم كذلك أثر ذلك في شق صف المسلمين ولذلك كان ملك غسان شديد الحرص على ذلك. لو حصل مثل الأمر في زماننا لعده الكثيرون مخرجًا وفرجًا له، واعتبروه نصرًا يخرجهم من الضيق والألم إلى أوسع أبواب العزة، ولكن هذا يحصل عند غير المؤمن، الذي يعلم علم اليقين أن الدنيا بكل ما فيها لا تعدل عند الله جناح بعوضه، وأن أي حل يأتي في غير طاعة الله تعالى ورضوانه، إنما هو الخسران بعينه، والخيبة بكل معانيها، فكان هذا الكتاب



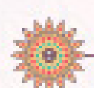
بالنسبة إلى كعب بمثابة الابتلاء، حيث قال: «**فقلت حين قرأتها: وهذه أيضًا من البلاء فتيامت بها التنور فسجرتها بها**».

نعم، حرق كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ذلك الكتاب ولم يندم، حرقه وهو يعلم أنه من ملك غسان نفسه، وهو ما يعني في زماننا الجنسية أو اللجوء السياسي، حرق الكتاب في التنور وهو يعلم أن فيه سبب نجاة لو أراد، حرقه وهو يعلم أن فيه ما ينسيه الألم الذي هو فيه، ولكن كعبًا لم يكن يسأل عن دنيا يصيبها، أو عن مكانة يتطلع إليها في هذه الدنيا الفانية.

نعم! لا غرابة في هذا، فالمؤمن حين يخالط الإيمان بشاشة قلبه يسمو هدفه، وتشمخ نفسه، وتصبح عنده الدنيا بكل ما فيها مجرد أوهام لا يمكنها أن تجذب قلبه أو تحرفه عن حب الله تعالى أو حب رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ثم يأتي بعد ذلك الفرج، يأتي بعد التأكد من ثباتهم على العهد، وبعد مقاومتهم وصبرهم على كل أنواع الابتلاءات التي تعرضوا لها، قال كعب: «**فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيتٍ من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عَزَّوَجَلَّ منا، قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر**».

رضي الله عنك وعن أصحابك يا كعب، لقد ضربتم بثباتكم وصمودكم أروع النماذج على صدق الإيمان، وعلى صحة اليقين وحسن التوكل على الله، فكانت تجربتكم من أروع التجارب، وصمودكم من أعظم أنماط الصمود، فقال معبرًا عن فرحته بتوبة الله عليه: «**فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء فرج**»، قال:



«فآذن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون، وركّض رجل إليَّ فرسًا وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أتأمم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتلقاني الناس فوجًا فوجًا، يهنئونني بالتوبة، ويقولون: لِتُهنِئَك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد»[1]، انتهى نص الحديث.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل»[2].

وهذا وعد بالفرج لمن توجه إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحده دون أن يتوجه إلى المخلوقين أن يعطوه، أو يدفعوا عنه، أو يرفعوا ما نزل به وحل من فاقة.

وإنزالها بالله: أن توقن وتظن أن الله تعالى يفرج عنك ويزيلها.

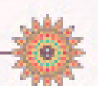
عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»[3].

فإذا دعوت الله أيها المؤمن فعظم الرغبة فيما عنده وأحسن الظن به.

(١) زاد المعاد: (٣/ ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦).

(٢) وأبو داود في "سننه" (٢/ ٤٣) برقم: (١٦٤٥) والترمذي في "جامعه" (٤/ ١٥٤) برقم: (٢٣٢٦).
قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

(٣) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (١/ ٤٩٣) برقم: (١٨٢٣) والترمذي (٥/ ٤٦٥) برقم: (٣٤٧٩).
والحديث حسنه الألباني .

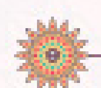


■ **قال ابن وهيب الحميري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

| | |
|---|---|
| وإنِّـي لأدعـو الله حتـى كـأنَّنـي | أرى بجميل الظنِّ ما الله فاعلُهْ |
| أمُـدُّ يــدي في غير يــأسٍ لـعـلَّه | يجود على عاصٍ كمثلي يواصلُهْ |
| وأقـرع أبــواب السمــاوات راجيــًا | عطاء كريمٍ قطُّ ما خاب سائلُهْ |
| ومنْ لي سوى الرحمن ربّـًا وسيّداً!؟ | ومن غيره أُبديه ما الغير جاهلُهْ !؟ |
| وهل لانكســار العبـد إلاّ وليُّـهُ !؟ | وقـد واربَ الأحـزانَ والهمُّ قاتلُهْ |
| إذا سُـدَّتِ الأبواب ألقيتُ حاجتي | إلى قاضيَ الحـاجات غُرٌّ نوائلُهْ |

الأمور تُدار من عند الله بقضاء وقدر، ولن يُقضى أمرٌ في الأرض إلا قُضى في السماء. فوسع صدرك، وأرح بالك، وتوكل على مولاك، وفوض الأمر إليه، وثق بتدبيره، وارض بحكمه تسعد، وتسلم، وتغنم.

❊❊❊



## ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾[1]

كم هي الأقدار التي تألمنا لها وقت نزولها وجرت لها دموعنا ورُفعت في طلبها أيدينا، حينما نحزن لفقد قريب، أو مرض حبيب أو فوات نعمة أو نزول نقمة، قد ننسى أو نجهل أنه قد يكون وراء تلك الأزمة «منحة ربانية وعطية إلهية».

مهما اشتدَّ بنا الحال، ومهما عصفت بنا الحياة، يبقى الأمل بالله دائماً يُشرِقُ في قلوبِنا، ما دام الله ربنّا، وما دُمنا مؤمنين بالله إيماناً قطعيًّا تامًّا ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾[2].

■ **قال علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ:

| | |
|---|---|
| إذا ضاقت بك الأحوال يوماً | فَثِق بالواحدِ الفردِ العَلِيِّ |
| ولا تجزع إذا ما نابَ خَطبٌ | فكم لله من لُطفٍ خفي |
| وكم يُسرٍ أتى من بَعدِ عُسرٍ | فَفَرَّجَ كُربة القَلبِ الشَّجِيِّ |

والله هو القادر على انتشالك مما أنت فيه، أعلم جيداً أن لديك من الهموم والكروب ما لا يتناسب مع النجاة منها إلا لفظة (انتشال)، اعمل الخير، لينتشلك الله به، كما كان تسبيح يونس عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سبب انتشاله من بطن الحوت.

﴿قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾[3] الظاهر: ابتلاء والواقع: فرج مدهش عندما تظن أن الله ابتلاك ثم تكتشف أنه أنقذكَ من البلاء كم خرقتْ الأيام لنا من سُفن

(١) سورة الطلاق، الآية ١.
(٢) سورة الطلاق، الآية ١.
(٣) سورة الكهف، الآية ٧١.

فاشتكينا وبكينا ولم نعلم إلا بعد سنوات أن الله نجانا بها من ضرر أكبر كونوا على يقين لله لطف خفي لا تدركه ضآلة أبصارنا.

﴿قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾[1] عندما يكون خرق السفينة هو قمة المعروف، و قتل الغُلام هو قمة الرحمة، و حبس كنز اليتيمين هو قمة الوفاء، فاصبر علَى ما لَمْ تُحِط بِهِ خُبرا فقد يرسل الله إليك رحماته على هيئة مصائب فلا تبتئس وردد في نفسك دائما لعله خير.

■ **قال أحد الصالحي:**

| | |
|---|---|
| ياقاضيَ الحاجاتِ جئتُكَ راجيًا | كم حاجةٍ أطوي عليها أضلعي |
| أنتَ العليمُ بما طويتُ وكلما | ناءتْ بهِ شفتايَ نابتْ أدمعي |
| جُدْ بالرضا فرضاكَ أعظمُ حاجةٍ | هوَ مُنتهىٰ أملي وغايةُ مطمعي |
| لو سلَّ كلُّ الخلقِ كلَّ سيوفِهمْ | لم أخشَهمْ كلّا فخالقُهمْ معي |

تولى الله أمر يوسف، فأحوج القافلة، وهي في الصحراء للماء ليخرجه من البئر!

ثم أحوج عزيز مصر للأولاد ليتبناه!

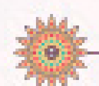
ثم أحوج الملك لتفسير الرؤيا ليخرجه من السجن!

ثم أحوج مصر كلها للطعام، ليصبح عزيز مصر وملك خزائنها!

إذا تولى الله أمرك هيأ لك كل أسباب السعادة وأنت لا تشعر اللهم تول أمرنا واهدنا سبيل الحق والرشاد وتوفنا وأنت راضٍ عنا.

«سبحانك ربي ما أعظمك»

(١) سورة الكهف، الآية ٧١.



## ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾[1]

لا تدري لعل همك الذي أثقلك، ومرضك الذي آلمك، وحزنك الذي أوجعك يحدث الله لك فيه فرجًا ويسراً، يغمر قلبك سعادة وراحة وفرحًا.

* يامن ابتلى بالمصيبة !!
* يامن ابتلى بفقد حبيب أو عزيز !!
* يامن ضاقت عليه الأرض !!
* يامن حبسه سريره بمرضه !!
* يامن امتلأت مقلتاه بالدموع واحترق قلبه من الألم كفكف دموعك.

■ **قال الشاعر:**

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تنامن إلا خالي البال

مابين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حالٍ إلى حالِ

وأطمئن فالله جَلَّجَلَالُهُ يقول: ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾[2].

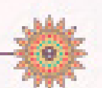
نعيش دائما بين يسر وعسر وكلاهما نعمة ففي اليسر يكون الشكر ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾[3].

---

(١) سورة الشرح، الآية ٦.

(٢) سورة الطلاق، الآية ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.



وفي العسر يكون الصبر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾[1].

الحمد لله في السرّاء والضرّاء، فلتكُن رُوحُكم جَمِيلَة فمَهما تَضخمتّ فِي قَلوبكم الأحزانْ لا تَتُوقفوا عَن العَطاء طالما أن القادم في غيبّ الله، فتصوره جميلاً.

عَنْ أَسْمَاءَ بنتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بِأُذُنَيَّ هَاتَيْنِ- يَقُولُ: «**مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ أَوْ سَقَمٌ أَوْ شِدَّةٌ؛ فَقَالَ: اللهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ؛ كَشَفَ ذَلِكَ عَنْهُ**»[2].

الحياة تكون أحياناً أضيق من ثقب الابرة لكن فرج الله قريب ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾[3].

■ **قال الشاعر:**

يـا أيّهـا الإنسـانُ مـا هـذا القلَـقْ ... أوَلَيسَ ربُّكَ قد تكَفَّلَ ما خلَق

أوَلَيـسَ بعـدَ العُسـرِ يُسْـرٌ مثلَمـا ... بَعدَ اللّيالِي دائماً يأْتي الفلَق

لا بـأْسَ فالأحـزانُ يَتبَعُهـا رِضـاً ... يُضفِي عَليكَ بإذنِ مولاكَ الألَق

كُـن مِثـلَ سَـهْمٍ إن تراجَـعَ للوَرا ... جَـدَّ النَّشـاطَ بِهِمَّةٍ ثُمَّ انطَلَق

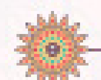
اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجذام والجبن والبخل وأعوذ بك من المأثم والمغرم ومن غلبة الدين وقهر الرجال.

---

(١) سورة الزمر، الآية ١٠.

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٩/ ٢٤٠) برقم: (١٠٤٠٨) وأبو داود في "سننه" (١/ ٥٦١) برقم: (١٥٢٥) وابن ماجه في "سننه" (٥/ ٤٦) برقم: (٣٨٨٢) وأحمد في "مسنده" (١٢/ ٦٥٥٥).

(٣) سورة الشرح، الآيات ٥-٦.



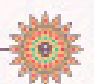
■ ويروى لأبي محجن الثقفي :

عسى فرجٌ يأتي به الله إنَّه ... له كلَّ يومٍ في خليقته أمرُ

عسى ما ترى ألاَّ يدوم وأن ترى ... له فرجًا ممَّا ألحَّ به الدَّهر

إذا اشتدَّ عسرٌ فارج يسرًا فإنَّه ... قضى الله أنَّ العسر يتبعه اليسر

❊❊❊



## فإن للصدقة تأثيرا عجيبا

وعن أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قَالَ: قالَ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ يَوْم يُصبِحُ العبادُ فيه إلَّا مَلَكَان يَنْزلان، فَيَقُولُ أَحَدُهُما: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[1].

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر، تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن للصدقة تأثيرا عجيبا في دفع أنواع البلاء !!، ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كُلُّهُم مقرون به لأَنَّهُم جرَّبُوهُ)[3].

### حكى الشيخ الغزالي موقفا حدث له وهو طالب بالأزهر، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

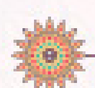
جاءتني (برقية) من البلد تطلب حضوري فورًا، فأدركت أن خطرًا داهم الأسرة، وسافرت وأنا مشتت الذهن، واسودّت أفكاري عندما رأيت دكان أبي -عن بُعد- وهو مغلق.

تحرّكت قدماي بلا وعي إلى البيت، ورأيت أبي يصرخ من "مغص كلوي"

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢/ ١١٥) برقم: (١٤٤٢) ومسلم في "صحيحه" (٣/ ٨٣) برقم: (١٠١٠)

(٢) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير (٧/ ٤٠٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ١١٥)

(٣) الوابل الصيب (١/ ٤٩).



أصيب به، والأولاد من حوله حيارى، وقد أعطاه الطبيب بعض الأقراص المخدّرة، ولكن الآلام كانت أربى وأقسى، وقالوا: لا بد من جراحة تستخرج ما في الكلى من حصيَّات...

وفتحت الدكان ووقفت مكان أبي أعمل، وأنا خبير بذلك لأني في أثناء الإجازة الصيفية أساعده، ومضت عدة أيام ونحن نتروّى ونتدارس ما نصنع... أجور الأطباء فوق الطاقة، ولو أمكن إعدادها فإن الجراحة يومئذ غير مأمونة العقبى، وقد مات عمٌّ لي في جراحة مشابهة... ماذا نصنع؟

وحاصرني غم ثقيل، وأخذت شخوص الأشياء تتقلص أمام عيني، وثبتت بصيرتي على شيء واحد، الله وحسب! وكأنما كنت أكلم الناس وأنا حالم...

وجاء رجل يشتري بعض الأغذية، ولما قدمتها له قال لي بصوت ضارع: ليس معي ثمن الآن، وأقسم بالله أنه صادق، وأنه غدا يجيء بالثمن!

ووقر في نفسي أن الرجل محرج فقلت له: خذ البضاعة وهي مني إليك... وانصرف الرجل غير مصدّق ما سمع...!

أما أنا فذهبت إلى ركن في الدكان، وقلت: يا ربّ، نبيّك قال لنا: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»! فأسألك أن تشفي أبي بهذه الصدقة...!

وجلست على الأرض أبكي، وبعد ساعة سمعت من يناديني من البيت -وكان قريباً- فذهبت على عجل وقد طاش صوابي...

وفوجئت بأبي يلقاني وراء الباب يقول: نزلت هذه الحصاة مني -وكانت حصاة أكبر قليلاً من حبة الفول- لا أدري ما حدث، لقد شفيت...!

وفي صباح اليوم التالي كنت في الكلية أحضر الدروس مع الزملاء...!

إن الذي يجيب المضطر إذا دعاه رحمني ورحم الأسرة كلها، فله الحمد...

### الصدقة من أسباب زوال الهموم وانشراح الصدر:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتساع الجبة عليه، فكلما تصدق اتسع وانفسح، وانشرح وقوي فرحه وعظم سروره ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقا بالاستكثار منها، والمبادرة إليها).[١]

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ارخِ يدك بالصدقة تُرخى حبال المصائب من على عنقك وأعلم أن حاجتك إلى أجر الصدقة أشد من حاجة ممن تتصدق عليه).

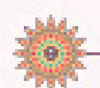
إذا ضاق عليك أمر فتصدق ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾[٢] فالنتيجة .. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾[٣] يسّر اللهُ أمركم وشرح صدوركم وأذهب عنكم همومكم.

***

(١) الوابل الصيب: (ص ٦٣).

(٢) سورة الليل، الآيات ٥-٦.

(٣) سورة الليل، الآية ٧.



## قبس من كتاب الله

قال الله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾[1].

ينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمة بعد شدة وفقر وسوء حال، أن يعترف بنعمة الله عليه، وأن لا يزال ذاكراً حاله الأولى، ليُحدث لذلك شكراً كلما ذكرها.

### لماذا سميت سورة يوسف بأحسن القصص؟

لأنها تُعلمنا أن السجين سيخرج، والمريض سيشفى، والغائب سيعود، والحزين سيفرح، والكرب سيزول، وأن ابتلاء المؤمن كله خير فمع الله لا يخيب رجاء فلا تيأس وثق بالله.

لـو يَعلَمُ المرءُ ما يُخفـي الزَّمانُ لَهُ ... لَـرُبَّـمـا فَـرَّ مِـمَّـا قـد تَـمَـنَّـاهُ!

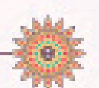
كم يَعشَـقُ القلبُ ما فيه الهلاكُ لَهُ؛ ... والخَيرُ -يا قلبُ- ما يَختارُهُ اللهُ

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[2] وقوله: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾[3].

### الخيرة في اختيار الله:

لا تحزن إن أغلق الله لك باباً، ستمر الأيام وستعلم أنه نجاك من بلاء لم تكن

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٠.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٩.



تستطيع تحمله، اطمئن لتدبير الله حكمته واعلم أن الخيرة في اختياره.

■ **قال الشاعر: محمد سعيد رباح:**

وإذا الشـدائدُ أقبلـتْ بجنودِهَـا — والدهرُ من بَعد المسرّة أوجعَك

لا تـرجُ شـيئا مـن أخٍ أو صَاحـبٍ — أرأيت ظلّكَ في الظلامِ مَشى معَك؟

وارفعْ يَديـكَ إلى السَّـماءِ ففوقِهَا — ربٌّ إذا نَـاديتَـهُ مَـا ضيَّعـكْ

**قال الشعراوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تحزن على شيء فقدتهُ فربما لو ملكتهُ لكان الحزن أكبر، الخيرة فيما أختاره الله لك (قُل من قلبك الحمد لله»).

**قال ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (لا تكره شيئًا اختاره الله لك» فعلى البلاء تؤجر، وعلى المرض تؤجر، وعلى الفقد تؤجر وعلى الصبر تؤجر، فرب الخير لا يأتي إلا بخير).

**يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أخذ الله شيئًا منك إلا لـحكمة ..وما أبقاه إلا رحمة و لن يضيع المؤمن بين حكمة ربه و رحمته».

■ **قال الشاعر:**

إذا أشـقاكَ في العيـشِ اغتـرابُ — وصـارتْ لا تفارقكَ الصّعابُ

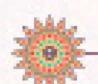
فرتّـلْ مـن كتـابِ اللهِ هديـًا — فخيرُ الصّحبِ في الضّيقِ الكتابُ

سـيغدو عيشُـكَ المشـؤومُ سَعداً — ويُـثـقَـلُ في صحيفتكَ الـثّـوابُ

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾[1].

جميع أمنياتك موجودة عند الملك جَلَّجَلَالُهُ استمطرها بالسجدات، والدعوات والاستغفار.

(١) سورة الحجر، الآية ٢١.



## ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[1]

قيل لرجل من الفقهاء: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[2] فقال الفقيه: والله إنه ليجعل لنا المخرج وما بلغنا من التقوى ما هو أهله، وإنه ليرزقنا وما اتقيناه كما ينبغي، وإنه ليجعل لنا من أمرنا يسراً وما اتقيناه، وإنا لنرجو الثالثة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾[3][4].

■ **قال أبو محمد الواسطي:**

عليكَ بتقوى اللّه في كل أمرِه ... تجد غبها يوم الحسابِ المطوَّلِ

ألا إن تقوى اللّه خيرُ مغبةٍ ... وأفضلُ زادِ الظاعنِ المتحملِ

ولا خيرَ في طولَ الحياةِ وعيشِها ... إذا أنتَ منها بالتقى لم ترحلِ

قال فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي جربته من أول عمري إلى آخره أن الإنسان كلما عول في أمر من الأمور على غير الله صار ذلك سبباً إلى البلاء والمحنة، والشدة والرزية، وإذا عول العبد على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق ذلك المطلوب على أحسن الوجوه فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين، فعند هذا استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله تعالى وإحسانه»[5].

---

(١) سورة الطلاق، الآية ٢.

(٢) سورة الطلاق، الآيات ٢-٣.

(٣) سورة الطلاق، الآية ٥.

(٤) حلية الأولياء: (رقم الأثر ٥٦٨٠).

(٥) مفاتيح الغيب: (٩/ ٤٩).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله».

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال أبو العالية: مخرجًا من كل شدة، وقال الربيع ابن خيثم: يجعل له مخرجًا من كل شيء ضاق على الناس ».

ولكن هذا لا يعني السلامة المطلقة، فهم يمرضون ويفتقرون ويبتلون، وقضاء الله تعالى إذا حق نزل.

لو أطبقت السماء على الأرض، لجعل الله للمتقين فتحات يخرجون منها ألا ترون قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾.

■ **قال الحطيئة:**

ولست أرى السّعادة جمع مالٍ ... ولكنّ التقيّ هو السّعيدُ

وتقوى الله خير الزّاد ذخراً ... وعند الله للأتقى مزيدُ

وما لا بدّ أن يأتي قريب ... ولكنّ الذي يمضي بعيد

■ **قال الامام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عليك بتقوى الله ان كنت غافلا ... يأتيك بالأرزاق من حيث لا تدري

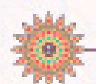
فكيف تخاف الفقر والله رازقا ... فقد رزق الطير والحوت في البحر

ومن ظن أن الرزق يأتي بقوة ... ما أكل العصفور شيئا مع النسر

تزول عن الدنيا فإنك لا تدري ... إذا جن عليك الليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

وكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا ... وأكفانه في الغيب تنسج وهو لا يدري



وكم من صغار يرتجى طول عمرهم وقد أدخلت أجسامهم ظلمة القبر

وكم مـن عروس زينوهـا لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

ومـن عاش في الدنيـا ثمانين حجة فلا بد أن يسير يوما إلـى القبر

❊❊❊

## ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[1]

فإن ذكر الله نعمة كبرى، ومنحة عظمى، به تستجلب النعم، وبمثله تستدفع النقم، وهو قوت القلوب، وقرة العيون، وسرور النفوس، وروح الحياة، وحياة الأرواح. ما أشد حاجة العباد إليه، وما أعظم ضرورتهم إليه، لا يستغني عنه المسلم بحال من الأحوال.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «يقولُ الله عَزَّوَجَلَّ: أنا عِندَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ منهمْ، وإنْ تقرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تقرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا، تَقرَّبْتُ منه باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. وفي روايةٍ : بهذا الإسْنادِ، ولَمْ يَذْكُرْ: وإنْ تقرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا، تَقرَّبْتُ منه باعًا»[2].

وأنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[3]، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا.

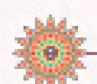
صباحك معطر بذكر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ما أجمل هذه العبارة عندما تبدأ بها صباحك، وتذكرك بالله لتبدأ بها يومك وأنت مليء بقوة من الله لتساعدك على اتمام ما عليك في هذا اليوم بكل سعادة وإيمان.

---

(١) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) واللفظ له.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٥٢.



■ **قال الشاعر:**

صباحٌ فيه ذكر الله يجلو ... هموم القلب يمنحك انشراحا

فقل يارَبّ أكرمني بفضلٍ ... وأبدل كربة الدّاعي ارتياحًا

الذكر يرضي الرحمن، ويطرد الشيطان، ويزيل الهَّم والغم، ويجلب البسط والسرور، ويجلب الرزق، ويحيي القلب، ويورث محبة الله للعبد، ومحبةً العبد لله ومراقبتهُ عَزَّوَجَلَّ ومعرفتهُ، والرجوع إليه والقرب منه، و يحطُّ السيئات، وينفع صاحبه عند الشدائد، ويزيل الوحشة من بين العبد وربه.

وقد جاء في فضل هذا الدعاء المبارك من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَنْ قالَ في كُلِّ يَوْمٍ حِينَ يُصْبِحُ، وَحِينَ يُمْسِي: (حَسْبِيَ الله لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) سَبْعَ مَرَّاتٍ كَفَاهُ الله تَعالى ما أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا والآخِرَة»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر الله عَزَّوَجَلَّ يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خففت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم»[(٢)].

تلاوتك لكتاب ربّكِ وتدبّرك لآية شفاء لنفسك وطُهرة لقلبكِ ودواءٌ لسَقَمك قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(٣)].

---

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة، ص ١٣٢، وابن عساكر، ٣٦/ ١٩٦، وصحح إسناده الأرناؤوط في زاد المعاد، ٢/ ٣٧ موقوفًا، وحسّنه سليم الهلالي في عمل اليوم والليلة، برقم ٧٢).

(٢) الوابل الصيب: (١/ ٧٧).

(٣) سورة الإسراء، الآية ٨٢.

■ **قال الشاعر:**

| | |
|---|---|
| إذا أشـقاكَ في العيـشِ اغتـرابُ | وصـارتْ لا تفارقكَ الصّعابُ |
| فرتّـلْ مـن كتـابِ اللهِ هديـًا | فخيرُ الصّحبِ في الضّيقِ الكتابُ |
| سـيغدو عيشُـكَ المشـؤومُ سَعداً | ويُـثـقَلُ في صحيفتكَ الـثّوابُ |

قال الضياء المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أوصاني شيخي: فقال: أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه، فإنه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ. قال الضياء: فرأيت ذلك وجربته كثيرًا، فكنت إذا قرأت كثيرًا تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لم أقرأ لم يتيسر لي»[١].

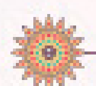
إذا تراكمت على قلبك الأحزان، كان هذا مؤشرا على حاجة قلبك للقرآن، كلما استزدتَ، استرحت.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢] رتلوا القرآن على مرضاكم ففيه شفاء لأبدانهم، وراحة لأرواحهم.

❋❋❋

(١) ذيل الطبقات (لابن رجب (٣/ ٢٠٥).

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٢.



## يا رب ... يا رب

**يقول الشيخ سلمان العودة حفظه الله:** «وإن اسم (الرب) من الأسماء الملائمة للدعاء، لما فيه من معنى القدرة والرحمة والاختصاص والقرب، فالمكروب والملهوف والمستغيث والمبتهل يناجي، وينادي ربه، ويتضَّرع إليه، وكأنه يقول (يارب .. يارب)، كما جاء في الحديث الرجل يطيل السفر أشعث أغبر كأنه يتوسل إليه تعالى بنعمه السابقة وآلائه الماضية، وفضله حين بدأ بالنوال قبل السؤال»[(١)].

■ **قال الشاعر:**

نـاداك قلـبي خاشـعا ولسـاني ... يـا عـالـمـا بـالـسـر والإعــلان

يامـن حفظـت محمـدا وحبيبـه ... في الغـار يـاذا المن والإحسـان

فرج كـروب المسـلمين جميعهم ... واحـفـظ علينا نعمة الإيـمـان

يـارب جـد لـي برحمـة ورضـا ... واخـتـم لـنـا يـارب بـالـرضـوان

يـارب عبدك مـن عذابك مشـفق ... بـك مستجير من لظى النيران

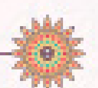
فارحـم تضرعـه اليـك وحزنـه ... وامـنـن عليه الـيـوم بـالـغـفـران

كم فيها من أَلَم، وكم فيها من أملٍ، بل كم فيها من رجاءٍ ونداءٍ ياربِّ ..ياربِّ أُرَدِّدُها وأُرَدِّدُها، وأشكو بها حُزني.

■ **قال أبو إسحاق الألبيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أتيتـك راجيـا يـاذا الجـلال ... ففـرج مـا تـرى من سـوء حالي

(١) كتاب مع الله: (ص ٢٦٦).



■ قال الدكتور فواز اللعبون:

إذا الهـمّ يومـًا حاصرتْـني جنودُهُ ... ولم يَنتشلني من رحا الحُزنِ مُسْعِفُ

أواجِهُـهُ وحدي وفي الوجهِ بسـمةٌ ... وفي القلبِ إيمانٌ وفي الكفِّ مُصْحَفُ

أودعتُها خوفي، وأسكنتُها ضَعفي، وأستلهمُ منها قوَّتي، أجمعُ بها شتاتَ أمري، أقومُ بها من عثرتي، أُبعد همومي حتى تصيح همًّا واحداً هو رضاكَ نعم رضاكَ ياربِّ، فاذا لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أُبالي فرحمتَك أرجو هي عُدَّتي هي مَوْعِدِي هي سَلوَاي وكلمَّا ضاقت بي السبلُ ناديت وناديت.. ياربِّ.. ياربِّ لاحول لي ولا قوة إلا بك فلا تكلني لغيرك، وأعِزَّني بتذلُّلي بين يديك.

■ قال الشاعر:

يـاربّ إن ضـاقَ الفضـاءُ فإنّـي ... برحابِ جُـودك أستظلّ وأطمعُ

ربّـاَهُ إن الـروح ترجـو رحمـةً ... ضـاعَ الـطـريـقُ فيا إلـهـي دُلَّـهـا

ضاقت بهـا الدُنيـا وبابك مُشـرعُ ... إن لم تكن أنت المُغيث فمن لها!؟

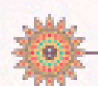
■ ويقول الحسن بن محمد أبو القاسم النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بمـن يسـتغيث العبـد إلا بربـه ... ومن للفتى عند الشدائد والكرب

ومن مالـك الدنيـا ومالـك أهلها ... ومن كاشف البلوى على البعد والقرب

ومـن يدفـع الغمـاء وقـت نزولها ... وهـل ذاك إلا من فعالك ياربِ





## قل الحمد لله

الحمد لله وهي من أفضل الكلام وأحبه لله عَزَّوَجَلَّ، لأن الحمد هو الثناء على الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وهو من خير الذكر الذي يذكر العبد به ربه وأفضل وأشرف العبادات التي يتعبد المسلم بها، ومن أسماء الله الحسنى الحميد، أي المحمود على كل حال، فالحمد لله يكون بالسراء والضراء عكس الشكر الذي يكون في السراء فقط.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: «**سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**»[1].

**يقول الشعراوي** رَحِمَهُٱللَّهُ: «زواجك البسيط حلم كل اعزب، ابنك الشقي حلم كل عقيم، بيتك الصغير حلم كل متشرد ،عملك الشاق حلم كل عاطل، مالك القليل حلم كل مديون، صحتك الغالية حلم كل مريض، ابتسامتك الحلوة حلم كل مهموم، ستر الله عليك حلم كل مفضوح، حريتك في الحياة حلم كل مسجون».

### أفلا تقل الحمد لله؟

**■ قال الشاعر:**

وَلَرُبَّ حَاجَاتٍ تَعَسَّــــرَ نَيْلُهَا ... والخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ في تَعْسِيْرِهَا

كُـنْ وَاثِقًا بـالله فِيمَـا قَـدْ قَضَى ... واتْرُكْ أُمُـورًا.. قَدْ دَعَـاكَ لِغَيرِهَا

(١) أخرجه الترمذي (ص ٥/ ٣٩٣).

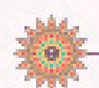
واجْعَلْ حياتَكَ كُلَّها بيَدِ الَّذِي لولاهُ لَنْ تَقْوَى عَلَى تَدْبيرِهَا
واتْرُكْ هَوَاكَ لِأَمْرِ رَبِّكَ واحْتَسِبْ لَا تَلْتَفِتْ للنَّفْسِ عِنْدَ زَئِيْرِهَا
مَنْ يَتَّقِ الرَّحْمَنَ يَلْقَ سَعَادَةً يَعْيَا لِسَانُ الخَلْقِ عَنْ تَفْسِيْرِهَا

يقول الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أصابني سوء إلا قلت خيرة، وما مرني يوم كئيب إلا قلت غدًا أجمل، ما فقدت شيئًا إلا قلت من الله العوض، فالحمد الله على فضله وستره».

■ **أنشد أبو عبدالله محمد بن أحمد المجاشعي لنفسه:**

حسن بربك ظناً إنه أبداً يكفي المهم إذا ما عانا أو نابا
كم قد تكشر لي عن نابه زمن فقل بالفضل منه ذلك النابا
لا تيأسن لباب سد في طلب فالله يفتح بعد الباب أبوابا

❊❊❊



## يا حيُّ يا قيوم

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[1].

**فإن معنى الدعاء (يا حيُّ يا قيوم)** طلب المؤمن من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ودعاؤه باسمه الحي واسمه القيوم والاستغاثة برحمته في أن يصلح له شأنه كله وألا يكله إلى نفسه، أي لا يسلمه إليها ويتركه طرفة عين أي تحريك جفن وهو مبالغة في القلة، ومعنى القيوم أي القائم بنفسه المقيم لغيره.

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره وإيصال جزاء -المحسن إليه وجزاء المسيء إليه وأنه بكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن- ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يضل ولا ينسى وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين، وهو مشهد الربوبية»[2]. انتهى.

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «كان إذا كربه أمر أي أصابه كرب وشدة يقول: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أي أطلب الإغاثة وأسأل الإعانة»[3].

وفي معنى لا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

**قال المناوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فيض القدير**: «لا تكلني أي لا تصرف أمري إلى نفسي

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٢) طريق الهجرتين: (ص ٤٤).

(٣) الأذكار للنووي: (١/ ١٢١).

أي لا تسلمني إليها وتتركني هملا طرفة عين أي تحريك جفن وهو مبالغة في القلة»[1] . انتهى

والحديث المذكور رواه أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**»[2].

ويقال هذا الدعاء عند الصباح والمساء، وعند الكرب والشدة، ولا حرج في الإتيان به في سائر الأوقات لأن العبد مفتقر إلى الله تعالى في كل وقت وحين مع التنبيه أن الدعاء به مستحب وليس بواجب.

إذا كنت مهموماً، تدعو الله وترجو الإجابة فأكثر في دعائك من قول ياحيٌّ يا قيوم.

وما أحوج المؤمن عند نزول البلاء واشتداد الكربات، وتوالي الملمات، وتربص الأعداء، وكيد السفهاء، وإرجاف المرجفين، والشعور بالغربة وتسرب الهم والغم، أن يلهج دائما بالاستغاثة واللياذ باسمين عظيمين من الأسماء الحسنى، عليهما مدار الأسماء كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعها، وهما الحي والقيوم.

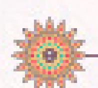
كان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إن ضاقت دنياه يُردّد، يا حي يا قيوم برحمتك استغيث أصلح لي شأني كلّه ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[3].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: (م٢/ ص ١٤٥ رقم الأثر ١٤٧٨).

(٢) والحاكم في "مستدركه" (١/ ٥٤٥) برقم: (٢٠٠٧) والنسائي في "الكبرى" (٩/ ٢١١) برقم: (١٠٣٣٠). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب..

(٣) الترغيب والترهيب (رقم: ١/ ٣١٣، إسناده صحيح) .



قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا ناجى العبد ربَّهُ في السَّحَر واستغاث به وقال: **(يا حيُّ يا قيُّوم لا إله إلاَّ أنت برحمتك أستغيث)** أعطاه الله من التمكين ما لا يعلمه إلاَّ الله)[1].

وكما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن لِاسْمِ الْحيِّ الْقيّومِ تأْثِيرًا خاصًّا فِي إِجابةِ الدّعواتِ، وكشْفِ الْكرباتِ، ومِنْ تجْرِيباتِ السّالِكِين الّتِي جرّبوها فألْفوْها صحِيحةً أنّ منْ أدْمن يا حيّ يا قيّوم لا إِله إِلّا أنْت أوْرثه ذلِك حياة الْقلْبِ والْعقْلِ، وكان شيْخ الْإِسْلامِ ابْن تيْمِيّة قدّس اللّه روحه شدِيد اللّهْجِ بِها جِدًّا، وقال لِي يوْمًا: لِهذيْنِ الِاسْميْنِ وهما الْحيّ الْقيّوم تأْثِيرٌ عظِيمٌ فِي حياةِ الْقلْبِ، وكان يشِير إِلى أنّهما الِاسْم الْأعْظم»[2].

❊❊❊

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (م ٢٨/ ص ٢٤٢).

(٢) الضوء المنير على التفسير: (م ٢/ سورة ال عمران :ص ٤).



## ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ٦٤﴾[1]

بعض الدعوات الجميلة لا تُستجاب في لحظتها، ولكن الله لا ينساها فيعطيك إيّاها في الوقت الأجمل والأنسب ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ٦٤﴾.

وكرم الله لا يتأخر وإنما يأتي في الوقت المناسب﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ٦٤﴾.

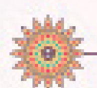
لا تقلق.. سوف يُعطيك ربك فتَرضَى، وسوف يُرضِيكَ حتى تَنسَى أنَّ هَمّاً مَرّ عليك.

من الشِّعر الرائع هذه العينيَّة الجميلة المؤثِّرة التي تفيضُ بالحب والصَّفاء، والضَّراعة والدعاء، والتودُّد والابتهال، والعُذوبة والصدق، واستِدرار العَطف، والجمال في السبك.

■ **يقول الإمام عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

| | |
|---|---|
| يا مـن يرى ما في الضمير ويسـمع | أنــت الـمـعـدّ لـكـل مـا يُتـوقـع |
| يـا مـن يرجّـى للشـدائد كُلها | يا من إليه المُشتكى و المفزع |
| يـا مـن خزائن رزقـه في قـول كن | أمـنـن فـإنَّ الخير عـنـدك أجمع |
| ما لي سـوى فقـري إليك وسـيلة | وبـالافـتـقـار إلـيـك فـقـري أدفـع |
| مـا لي سـوى قرعـي لبابـك حيلة | فلئن طـردت فـأي بـاب أقـرع |
| و من الـذي أدعو و أهتف باسـمه | إن كـان فضلك عـن فقير يمنع |
| حاشـا لمجـدك أن تقنّـط عاصيـا | الفضل أجزل و المواهب أوسع |

(١) سورة مريم، الآية ٦٤.



| | |
|---|---|
| بالذل قد وافيت بابك عالما | أن التذلل عند بابك ينفع |
| وجعلت معتمدي عليك توكلا | وبسطت كفي سائلا أتضرّع |
| وبحق من أحببته وبعثته | وأجبت دعوة من به يتشفع |
| فاجعل لنا من كلّ ضيقٍ مخرجًا | والطف بنا يا من إليه المرجع |
| ثم الصلاة على النبي وآله | خير الخلائق شافع ومشفّع |

تدبر قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾[1] لا تلتفت بقلبك لغير الله ولا ترجو سواه، فهو يعطي من يشاء كما يشاء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

نيتك الصالحة هي من تجلب لك الخير ..

فعلى قدر النوايا تكون العطايا ..

لذا ضع نية الخير في قلبك ..

وسيتولى الله أمرك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾.

لا تقلق كثيرًا ...

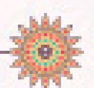
فالذي كفاك همّ أمس، سيكفيك همّ اليوم والذي رعاك صغيرًا ..

لن تُعجِزه كبيرًا ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٨١﴾[2].. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾.

***

(١) سورة الحديد، الآية ٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٨١.



﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩﴾[1]

كلما شعرت بالحيرة والضياع اجمع هموم قلبك وارحل بها إلى الله؛ فعنده فقط ستجد النجاة والسعادة الأبدية.

■ **يقول الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

| | |
|---|---|
| جعلت مُعتمدي عليك توكّلاً | وبسطتُ كفّي سائِلا أتضرّعُ |
| فاجعل لنا من كلّ ضيقٍ مخرجًا | والطُف بنا يامن إليه المرجعُ |

﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾[2]. الواثقون من عطاء الله وحدهم من يتيقّنون بأن أمنياتهم ستتحقق ولو بعد حين.

عندما تشتكي للبشر ينتهي، الحوار في الأغلب بقولهم (الله يعينك) اختصرها من البداية واشتكِ للي يعينك (إنه الله).

■ **قال الشريف الرضى:**

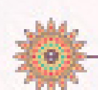
| | |
|---|---|
| أشكو إلى الله قلبا لا قرار له | قامَتْ قِيامَتُهُ، وَالنّاسُ أحْيَاءُ |
| إن نال منكم وصالاً زاده سقمًا | كَأنّ كُلّ دَوَاءٍ عِندَهُ داءُ |
| كَأنّ قَلْبيَ يَوْمَ البَيْنِ طارَ بهِ | من الرفاع نجيب الساق عداءُ |

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من كان الله معه فمن ذا الذي يغلبه أو ينالُه بسوء ؟!لو كادته السماوات والأرض والجبال لكفاه الله مؤونتها»[3].

(١) سورة الصافات، الآية ٩٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٣٩.

(٣) اعلام الموقعين (م٢/ ص ١٢٢).



## كيف تحزن وربك الله

إنه الله إذا أغلقت أمامك أسباب الفرج، واستحكمت عليك أسباب الشدة تذكر أن حاجاتك وأمنياتك لا تعجزه ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ٦١﴾[1].

إذا سدت في وجهك الأبواب وقطعت أمامك الأسباب فتوجه إلى رب الأسباب و المسببات وقل يا الله.

إذا غدر بك الصديق وخانك الحبيب وسد في طريقك كل سبيل فقل يا الله إذا انقطع عنك الرزق وقلَّ في يدك المال وتكاثرت الديون و الهموم وزادت عليك الأحزان فقل يا الله ...يا الله ...يا الله.

فلن يضيع ندائك ولن يخيب رجاؤك فأنت تلجأ إلى الرب الرحيم اللطيف الخبير الذي رحمته وسعت كل شيء.

■ **قال مذكر بن محمد الشلوي:**

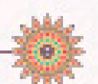
| | |
|---|---|
| يا شاكيًا هم الحياة وضيقها | أبشر فربك قد ابان المنهجا |
| من يتقي الرحمن جَلَّجَلَالُهُ | يجعل له من كل ضيق مخرجا |

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾[2].

في أشدِّ لحظات حُزنك، وعند تزاحم الهُمُوم على قلبك، وابتعاد السعادة عن حياتك، لن تَجِدَ أقرب من الله ،استشعارك لقُرْب الله منك عندما تدعوه وترجوه، يغمر

(١) سورة هود، الآية ٦١.

(٢) سورة الطلاق، الآية ٢.



قلبك بالرحمة التي تُنسيك كل هُمُومك، وبالطُمأنينة التي تُخفِّف جميع أحزانك.

لا تحزن عند البلاء فإنه يقَّرب بينك وبين الله، ويعلمك الدعاء، ويذهب عنك الكبر والعجب والفخر.. لا تحزن إن الله معنا.

لعل الله يغير من أجلك كل شيء ليرضيك ويرضي قلبك من حيث لا تدري فمن يثق بالله فهو حسبه في الدنيا والآخرة.

قُـل للحزانـى دروبُ الله واسـعةٌ     لا حـزنَ يبقى ولا آلامَ تتصلُ

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أخذه الله لحكمة، وما أبقاه لرحمة، ولن يضيع المؤمن بين حكمة ربه ورحمته».

■ **قال الشاعر:**

ومـا دعـى الله عبـدٌ يـوم محنتـه     بصدقِ عاطفةٍ إلا رأى الفرجا

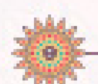
تشـتدّ محنتـهُ لكـن علـى ثقـةٍ     أن لا يخيبَ فتى من بابه ولَجا

وكيف يحزن من عنده رب يقدر ويغفر ويستر ويرزق، يسمع ويرى وبيده مقاليد الأمور؟!!

قال الشيخ عائض القرني حفظه الله: (لا تحزن أغلق على ملف ماضيك تماماً في زنزانة النسيان وابدأ حياة جديدة يملؤها الأمل والتفاؤل والإيمان والمحبة والسلام)[١].

لا تحزن عندما يهجرك أو يتغير عليك البعض؛ ربما هي دعوة ذات ليله «واصرف عني شر ما قضيت».

(١) تغريدة في موقعه الرسمي (تاريخ ١٩/ ٩/ ٢٠١٦).



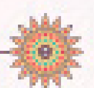
يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما تحصل الهموم والغموم والأحزان من جهتين إحداهما الرغبة في الدنيا والحرص عليها والثاني التقصير في أعمال البر والطاعة»[(١)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ وَهُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي. إِلا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا» . قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا نَتَعَلَّمُهَا؟ قَالَ: فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»**[(٢)].

❊❊❊

(١) عدة الصابرين: (ص ٢٩٩ طبعة المكتبة العصرية الطبعة الأولى).

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣/ ٢٥٣) برقم: (٩٧٢) والحاكم في "مستدركه" (١/ ٥٠٩) برقم: (١٨٨٣) وأحمد في "مسنده" (٢/ ٨٦٤) برقم: (٣٧٨٨)، (٢/ ٩٩٢) برقم: (٤٤٠٤).



## محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ

■ قال الشاعر:

| | |
|---|---|
| ومـا دعـى الله عبـدٌ يـوم محنتـه | بصدقِ عاطفةٍ إلا رأى الفرجا |
| تشـتدّ محنتـهُ لكـن علـى ثقـةٍ | أن لا يخيبَ فتى من بابه ولَجا |

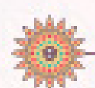
### الإمام أحمد، وما أدْراك ما الإمام أحمَد؟!

رجل من طِرازٍ فَريدٍ، ومَعدِن نَفِيس.

يقول عليُّ بن المَدِيني: أعزَّ الله الدينَ بالصِّدِّيق يومَ الرِّدَّة، وبأحمدَ يومَ المِحنَة.

ومِحنَة الإمام أحمد فيها من الأهوال والعَظائِم ما تقشعرُّ لها الجُلُود، ولكنْ حسبُنا منها خُيوطُها العامَّة التي تُعرِّفنا بِالمَلامِح العامَّة لهذه المِحنَة.

في عام (٢١٨هـ) وبسبب شِرذِمَة هَلكَى من ضُلاَّل المعتزِلة يرأَسُهم أحمد بن أبي دؤاد، ظهَرت بدعة القول بخلْق القرآن، واستَطاعوا أنْ يُلبِّسوا على الخَلِيفَة بهذا القول حتى اعتَقدَه، فكتَب الخليفة المأمون إلى نائِبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم يأمُرُه أنْ يَمتَحِن القُضاةَ والمحدِّثين بالقَوْل بخلق القرآن، وأمَرَه بأنَّ مَن أجابَ منهم شهر أمره في النَّاس، ومَن لم يُجِب منهم أنْ يبعَثَه إلى عسكر أمير المؤمِنين يَرسُف في أغلالِه، حتى يصل إلى أمير المؤمِنين فيَرَى فيه رأيَه، فأجابَ أكثَرُهم إلاَّ أربعة؛ وهم: أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، والحسن بن حمَّاد «سجادة»، وعُبَيدالله بن عمر القَوارِيري، ثم أجابَ سجادة، ثم أجاب القَوارِيري، وأُرسِلَ أحمدُ وابن نوح إلى الخليفة، فسارَا مقيَّدين في مَحمَل على جملٍ، وفي الطريق جعَل الإمام أحمد



يدعو الله عَزَّوَجَلَّ ألاَّ يَجمَع بينهما وبين المأمون، وألاَّ يَرَياه ولا يَرَاهُما، فلمَّا كانوا ببعض الطريق بلَغَهم موتُ المأمون، فعادوا إلى بغداد.

فلمَّا كانَا ببلاد الرحبة جاءَهما رجلٌ من الأعراب من عُبَّادِهم يُدعَى جابر بن عامر، فسلَّم على الإمام أحمد وقال له: يا هذا، إنَّك وافِد الناس، فلا تكن شُؤمًا عليهم، وإنَّك رأس الناس اليومَ فإيَّاك أنْ تجيبَهم إلى ما يَدعُونك إليه فيُجِيبوا فتَحمِل أَوْزارَهم يومَ القِيامة، وإنْ كنتَ تحبُّ الله فاصبِر على ما أنت فيه، فإنَّه ما بينك وبين الجنَّة إلاَّ أنْ تُقتَل، وإنَّك إنْ لم تُقتَل تَمُتْ، وإنْ عِشتَ عِشتَ حميدًا، قال أحمد: وكان كلامُه ممَّا قوَّى عزمي على ما أنا فيه من الامتِناع من ذلك الذي يدعونني إليه، ثم جاء الخبر بأنَّ المعتصم قد ولي الخلافة، وقد انضَمَّ إليه ابنُ أبي دُؤاد، ومات محمدُ بن نوح في الطريق إلى بغداد، فلمَّا رجَع الإمام أحمد إلى بغداد دخَلَها في رمضان، فأُودِع السجن نحوًا من ثمانية وعشرين شهرًا، وقيل: نيفًا وثلاثين شهرًا، ثم أُخرِج بين يدي المعتصم...

**قال صالح ابن الإمام أحمد:** فمكَث أبي في السجن نحوًا من ثلاثين شهرًا، فكنَّا نأتيه، وقرأ عليَّ كتاب «الإرجاء» وغيره في الحبس، فرأيتُه يصلِّي بأهل الحبس وعليه القيد، فكان يخرج رجلَه من حلقة القيد وقت الصلاة والنوم.

**قال الإمام أحمد:** حتى جِئنا دارَ المعتَصِم، فأُدخِلتُ في بيتٍ وأُغلِق عليَّ وليس عندي سِراج، فأَرَدتُ الوضوءَ فمدَدتُ يدي، فإذا إناءٌ فيه ماءٌ فتوضَّأت منه، ثم قمتُ ولا أَعرِف القِبلَة فلمَّا أصبحتُ إذا أنا على القبلة - والحمد لله - ثم دُعِيت...

فأُدخِلت على المعتصم، فلمَّا نظر إلَيَّ وعنده ابنُ أبي دُؤاد، قال: أليس قد زعمتُم أنَّه حدَث السنِّ، وهذا شيخ كهل؟ فلمَّا دنَوْت منه وسلَّمتُ قال لي: ادنُه، فلم

يزَلْ يُدنِيني حتى قربت منه، ثم قال: اجلس، فجلَستُ وقد أثقَلنِي الحديد، فمكثت ساعةً ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إلى ما دعا إليه ابنُ عمِّك رسولُ الله ﷺ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، قلت: فإنِّي أشهد أن لا إله إلاَّ الله، قال: ثم ذكرتُ له حديثَ ابنِ عبَّاس في وفْد عبدالقيس، ثم قلت: فهذا الذي دعَا إليه رسولُ الله ﷺ قال: ثم تكلَّم ابنُ أبي دُؤَاد بكلامٍ لم أفهَمْه؛ وذلك أنِّي لم أتفقَّه كلامَه، ثم قال المعتصم: لولا أنَّك كنت في يد مَن قبلي لم أتعرَّض إليك، ثم قال: يا عبدالرحمن، ألَمْ آمُرك أنْ ترفع المحنة؟ قال أحمد: فقلت: الله أكبر، هذا فرَج المسلمين، ثم قال: ناظِرْه يا عبدالرحمن، كلِّمْه، فقال لي عبدالرحمن: ما تقول في القرآن؟ فلم أُجِبه، فقال المعتصم: أَجِبْه، فقلت: ما تقول في العلم؟ فسكَتَ، فقلت: القرآن من عِلمِ الله، ومَن زعَم أنَّ عِلمَ الله مخلوقٌ فقد كفَر بالله، فسكَتَ.

فقالوا فيما بينهم: يا أميرَ المؤمنين، كفَّرَك وكفَّرَنا، فلم يلتَفِت إلى ذلك، فقال عبدالرحمن: كان الله ولا قُرآن، فقلت: كان الله ولا عِلم؟ فسكَتَ، فجعَلُوا يتكلَّمون من هاهنا وهاهنا، فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنَّة رسولِه حتى أقول به، فقال ابن أبي دُؤاد: وأنت لا تقول إلاَّ بهذا وهذا؟!

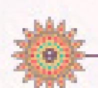
فقلت: وهل يقوم الإسلام إلاَّ بهما؟!

وجَرَتْ مُناظَرات طويلة، واحتجُّوا عليه بقوله: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾[1]، وبقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[2]، وأجابَ بما حاصِلُه أنَّه عامٌّ مخصوصٌ كقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۢ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾[3]، فدمَّرت إلاَّ ما أرادَ الله، وأنَّ الله

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢.

(٢) سورة الزمر، الآية ٦٢.

(٣) سورة الأحقاف، الآية ٢٥.



-تعالى- قال: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾[1]، فالذكر هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولام.

وكان يُناظِر من الصَّباح حتى الزَّوال ولا يلحن لشدَّة قلبه وشَجاعته، وكان يعلو صوتُه عليهم، وتغلب حُجَّتُه حُجَجَهم، وكان يُناظِر أكثر من شخصٍ في وقتٍ واحد قال الإمام أحمد: فإذا سكَتُوا فتَح الكلام عليهم ابنُ أبي دؤاد، وكان من أجهَلِهم بالعلم والكلام، وقد تنوَّعت بهم المسائل في المجادَلة، ولا علم لهم بالنَّقل؛ فجعَلُوا يُنكِرون الآثار ويَرُدُّون الاحتِجاج بها، وسمعتُ منهم مقالاتٍ لم أكنْ أظنُّ أنَّ أحدًا يقولها!

وكان يتَلطَّف به الخليفةُ ويقول: يا أحمد، أجِبني إلى هذا؛ حتى أجعَلَك من خاصَّتي وممَّن يطَأ بساطِي، فأقول: يا أمير المؤمنين، يأتوني بآيةٍ من كتاب الله أو سنَّة رسول الله ﷺ حتى أُجِبهم إليها. واستمرَّت المناظَرة على هذه الحال ثلاثةَ أيَّامٍ كاملة.

**قال محمد بن إسماعيل بن أبي سمينة:** سمعتُ شاباص التائب يقول: لقد ضرَبتُ أحمد بن حنبل ثمانين سوطًا، لو ضربته فيلاً لهدته.

ويُروَى أنَّه لَمَّا أُقيم ليُضرَب انقطَعَتْ تكَّة سَراوِيله، فخشي أنْ يسقُط سرواله فتنكَشِف عورتُه، فحرَّك شفتَيْه فدعَا الله، فعاد سرواله كما كان، ويُروَى أنَّه قال: يا غِياث المُستَغِيثين، يا إله العالمين، إنْ كنتَ تعلَم أنِّي قائمٌ لك بحقٍّ، فلا تهتك لي عورةً.

(١) سورة ص، الآية ١.

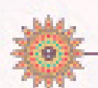
**قال الإمام أحمد:** فلمَّا كان في الليلة الرابعة، وجَّه - يعني: المعتصم - بِبُغَا الكبير إلى إسحاق، فأمَرَه بحملي إليه، فأُدخِلت على إسحاق، فقال: يا أحمد، إنها والله نفسك، إنَّه لا يقتلك بالسيف، إنَّه قد آلَى إنْ لم تُجِبْه أنْ يَضرِبَك ضربًا بعد ضرْب، وأنْ يقتُلَك في موضعٍ لا يُرَى فيه شمسٌ ولا قمر.

**وقال الإمام أحمد:** فقال لي رجلٌ ممَّن حضَر: كببناك على وجهِك، وطرَحنا على ظهْرك بارية ودُسنَاك!

**قال الإمام أحمد:** فما شعرت بذلك، وأتوني بسويق، وقالوا: اشرب وتقيَّأ، فقلت: لا أفطر، ولَمَّا ضُرِبت بالسِّياط، جعَلتُ أذكُر كلامَ الأعرابي، ثم جاء ذاك الطويل اللحية - يعني: عجيفًا - فضربَنِي بقائم السيف، ثم جاء ذاك، فقلت: قد جاء الفرج، يضرب عنقي فأستَرِيح، فقال له ابن سماعة: يا أمير المؤمنين، اضرب عنقَه ودمُه في رقبَتِي، فقال ابن أبي دؤاد: لا، يا أمير المؤمنين، لا تفعَل؛ فإنَّه إنْ قُتِل أو مات في دارك، قال الناس: صبَر حتى قُتِل، فاتَّخَذَه الناسُ إمامًا، وثبَتُوا على ما هم عليه، ولكن أطلقه الساعة، فإنْ مات خارجًا من منزلك شكَّ الناس في أمره، وقال بعضُهم: أجاب، وقال بعضهم: لم يجب، فقال الطفاوي: وما عليك لو قلت؟ قال أبو عبدالله: لو قلتُ لكفرتُ.

وبه قال ابن أبي حاتم: سمعتُ أبا زرعة يقول: دعا المعتصمُ أحمدَ، ثم قال للناس: تَعرِفونه؟ قالوا: نعم، هو أحمد بن حنبل، قال: فانظُروا إليه، أليس هو صحيح البدن؟ قالوا: نعم، ولولا أنَّه فعل ذلك لكنتُ أخافُ أنْ يقَع شيءٌ لا يُقام له.

قال: ولَمَّا قال: قد سلَّمتُه إليكم صحيحَ البدن، هدَأ الناس وسكَنُوا.



وقال حنبَل: فأُخرِج على فرسٍ لإسحاق بن إبراهيم عند غُروب الشمس، فصار إلى منزله، ومعه السلطان والناس، وهو منحنٍ، فلمَّا ذهَب لينزل احتضَنتهُ ولم أعلَمْ، فوقعَتْ يدي على مَوضِع الضرب، فصاحَ فنحَّيْتُ يدي، فنزل مُتَوَكِّئًا عليَّ، وأغلَق الباب ودخَلنا معه، ورمَى بنفسه على وجهِهِ لا يقدر أنْ يتحرَّك إلاَّ بجهد. وقال صالح: صار أبي إلى المنزل، ووُجِّه إليه من السَّحَر مَن يُبصِر الضرب والجِراحات ويُعالِج منها، فنظر إليه وقال: أنا والله لقد رأيتُ مَن ضُرِب ألفَ سَوْطٍ، ما رأيتُ ضربًا أشدَّ من هذا، لقد جرَّ عليه من خلفه ومن قدَّامه، ثم أُدخِل ميلاً في بعض تلك الجِراحات وقال: لم ينضب، فجعل يَأتِيه ويُعالِجه، وكان قد أصابَ وجهَه غيرُ ضربةٍ ثم مكَث يُعالِجه ما شاء الله، ثم قال: إنَّ هاهنا شيئًا أريد أنْ أقطَعَه، فجاء بحديدةٍ، فجعل يُعلِّق اللحم بها ويَقطَعُه بسكِّين، وهو صابرٌ - بحمد الله - فبَرَأ، ولم يزَل يتوجَّع من مَواضِع منه، وكان أثَر الضرب بيِّنًا في ظهره إلى أنْ تُوُفِّي.

■ **وصدق القائل:**

ضربوا ابن حنبل بالسياط بظلمهم ... بغيًا فُثِّبت بثبات الأنور

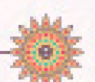
قال الموفق حين مدُد بينهم ... مد الأديم مع الصعيد القرقر

إني أموت ولا أبوء بضجرةٍ ... تصلي بوائقها محل المفترى

■ **وقال آخر:**

هانت عليه نفسه في دينه ... ففدى الإمام الدين بالجُثمان

لله ما لقي ابن حنبل صابراً ... عزمًا وينصره بلا اعوان



ثم هلَك الواثق وتولَّى المتوكِّل، ففرَّج الله به على الإمام أحمد الكرْب، وعادَ الإمام إلى دَرْسِه، وأذهَبَ الله بهذا الخليفة حَرَّ هذه الفِتنة عن المسلمين، وأطفأ نارها إلى الأبد - إنْ شاء الله.

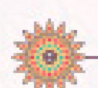
وبعدَ أنْ شَفاه الله قال صالح بن أحمد: وسمعتُ أبي يقول: لقد جعلتُ الميت في حلٍّ من ضربِه إيَّاي، ثم قال: مررتُ بهذه الآية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1]، فنظَرت في تفسيرها فإذا هو ما أخبرنا هاشم بن القاسم، أخبرنا المبارَك بن فضالة، قال: أخبرني مَن سمع الحسن يقول: إذا كان يومُ القيامة، جثَت الأُمَم كلُّها بين يدي الله ربِّ العالمين، ثم نُودِي ألاَّ يقوم إلاَّ مَن أجرُه على الله، فلا يقوم إلاَّ مَن عفَا في الدنيا، قال: فجعَلتُ الميت في حِلٍّ.

ثم قال: وما على رجلٍ ألاَّ يُعذِّب الله بسببه أحدًا»[2].

❋❋❋

(١) سورة الشورى، الآية ٤٠.

(٢) انظر تفصيل محنته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في: "الكامل في التاريخ" (٣/ ١٨٠)، "البداية والنهاية" (١٠/ ٢٧٤)، "سيرة الإمام أحمد"؛ لابنه صالح ص٧٨، "تاريخ الإسلام" (١٨/ ٩٩)، "سير أعلام النبلاء" (١١/ ٢٤٣).



## العَالِم سجينًا

عندما يعجزُ منطقُ القوَّةِ أمامَ قوَّةِ المنطق، لا يجِدُ الباطل إلا القيدَ والسوطَ لإسكاته، فيفوحُ عبيرُ الصبر المتزاوج باليقين، وتولدُ من رحِمِ المجاهدة إمامةُ الدين، وتتحوَّلُ كلماتُ التنظير إلى نبراسٍ يُنيرُ دروبَ السالكين.

لقد سَجنَ الجلادونَ الإمامَ عندما صدعَ بالحقِّ على الملأ بأنَّ نكاحَ أميرهم "الخاقان" من عتيقته قبلَ الإبراءِ باطلٌ في حكم الشرع.

### ولیتك تعلم أين كان الحبسُ؟!

في جُبٍّ مُظلمٍ تحتَ الأرض، ليتأدَّب سائرُ العلماءِ وليضبطوا ألسنتهم، ويُداهنوا الأمراء ولو على حساب دينهم ومرضاة ربهم.

لم يكن الإمامُ السرخسيُّ من صنفِ المستسلمين المحبَطين، بل كان إيجابيًا لدرجةٍ قلبَ فيها المحنَةَ منحَةً، والبلايا عطايا.

لقد أملى على طلابه من محبسه في الجُبّ كتابه الشهير "المبسوط" وهو في ثلاثين جزءًا، وهم يكتبون في قراطيسهم ما يمليه عليهم من غير مرجع، إلا من فتح الفتاح الوهاب.

لم تذهب السنواتُ الخمسةَ عشرَ التي قضاها تحت الأرض سُدى، فقد جعل الله ثوابَها العاجلَ رفعةً ومنزلةً في قلوب الخلق، فلقَّبوه بـ "شمسُ الأئمة"، وكأنهُم يصرخون في وجه الخاقان: آمنّا بربّ السرخسيّ.

وأما مبسوطه بمجلداته العشر فلا تكاد تخلو منه مكتبةُ طالب علم، ولا بحثٌ

فقهيٌّ من العَزو إليه.

وأما الأميرُ.. فإلى مزبلة التاريخ ذهبَ غير مأسوفٍ عليه مع الجلادِ والسجَّان وجوقَة المطبلين.

وقريبًا سيكونُ المُلتقى عندَ الديّان.

**إلى ديّان يوم الدّين نمضي وعند الله تجتمعُ الخصومُ**

لقد أبكاني هذا العالمُ عندَ خاتمةِ بعضِ الأبوابِ من كتابهِ وكان يذيّلُه بوصف حاله.

**فقد قال في المبسوط عند فراغه من شرح العبادات:** (هذا آخرُ شرح العبادات بأوضح المعاني، وأوجز العبارات، أملاه المحبوسُ عن الجُمَعِ والجماعات..).

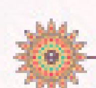
**وقال في آخر كتاب الطلاق:** (هذا آخرُ كتاب الطلاق المؤثر من المعاني الدقاق، أملاه المحبوس عن الانطلاق، المبتلى بوحشة الفراق، مصليا على صاحب البراق..).

**وقال في آخر كتاب العتاق:** (انتهى شرح العتاق من مسائل الخلاف والوفاق، أملاه المستقبل للمحن بالاعتناق، المحصور في طرق من الآفاق، حامدًا للمهيمن الرزاق، ومصليا على حبيب الخلاق، ومرتجى إلى لقائه بالأشواق وعلى آله وصحبه خير الصحب والرفاق).

**وقال في آخر شرح الإقرار:** (انتهى شرح كتاب الإقرار المشتمل من المعاني ما هو سر الأسرار، وأملاه المحبوس في موضع الأشرار، مصليا على النبي المختار).

أيها العَالِم.. وداعًا إلى حين.[(١)]

(١) مسلكيات المجموعة الأولى د. جمال الباشا: (ص ١١٨/ ١١٩).



## محنة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تُعتَبر محنة شيخِ الإسلام ابن تيميَّة محنةً من نوْعٍ خاص؛ حيث إنَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كانت حياتُه كلُّها محنةً مستمرَّة؛ فقد ظَلَّ ينتَقِل من اختبارٍ لآخر، ومن سجنٍ لآخَر، ومن بلدٍ لآخَر، من سلطان جائرٍ، لفقيه متعصِّب، لحاسد حاقد؛ وما ذلك إلاَّ لأنَّ الله – سبحانه – أنار عقلَه وقلبَه، فأراد أنْ ينهض بهذه الأمَّة من شِراك البِدَع والمحدَثات، فوقَع له ما وقَع.

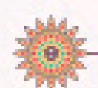
ظلَّ شيخُ الإسلام يتفكَّر في أسباب تقَهقُر الأمَّة وكبوتها، فجعَل كلَّ همِّه ينصبُّ في التفكير في الخروج من تلك الحال السيِّئة التي أُصِيبت بها الأمَّة، حتى أكرَمَه الله ووقَف على أسباب ذلك الداء العُضَال الفتَّاك، فراح يُحارِب كلَّ محدَثة، ويقوِّم كلَّ معوجٍّ، ويُناهِض كلَّ مبتدع، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحارِب في مختلف الجبهات وعلى كلِّ الأصعِدَة في وقتٍ واحدٍ؛ من أجل توحِيد الأمَّة على كلمةٍ سَواء، على العقيدة الصافية والمنهَج الوَسَط الذي خَصَّها الله –تعالى– به، وسنكتَفِي هنا بإيراد ثلاثة أمثِلَة للابتِلاءات والمِحَن التي وقَع فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكيف نجَّاه الله منها – سبحانه.

في السبت التاسع من جُمادَى الأولى سنة خمسٍ وسبعمائة اشتكَت الصوفيَّة الأحمديَّة إلى أمير دمشق الأفرم من شيخ الإسلام ابن تيميَّة؛ لكثْرة إنْكاره لبدَعِهم، فما كان من الوالي إلاَّ أنَّه أمَر بإحضار الشيخ إلى قصره، وطلَب منه أنْ يخفَّ وطأتَه عليهم، وألاَّ يشتدَّ في النَّكِير عليهم، ولكنَّه رفَض بشدَّة وقال بعِزَّة العالِم العامِل: «هذا ما يُمكِن، ولا بُدَّ لكلِّ أحدٍ أنْ يدخُل تحت الكتاب والسنَّة قولاً وعمَلاً، ومَن خرَج عنهما وجَب الإنكارُ عليه»، فأرادَت الأحمديَّة استِخدَام حيلهم المعروفة من اللعب بالحيَّات ودخول النِّيران؛ من أجل إقناع الوالي

والحاضِرين بصحَّة أفعالهم، فأبطَلَ شيخُ الإسلام هذه الحِيَل، وخرَج من هذه المُناظَرة منصورًا مظفرًا، وقد ألزمت الصوفيَّة الأحمديَّة بترْك أحوالهم البدعيَّة وكُتِب محضرٌ بذلك.

وفي السنة نفسها اجتمَع عُلَماء الأشاعرة وفُقهاؤهم وقُضَاتهم عن بكْرة أبيهم عند أمير دمشق، وطلَبُوا من ابن تيميَّة الحضورَ لمناظَرته في كتابه «العقيدة الواسطيَّة»، وعقَدُوا له ثلاثةَ مجالس للمُناظَرة، استَطاع خلالَها ابنُ تيميَّة أنْ يظهَر عليهم بالحجَّة والبُرهان؛ حتى ألزَمَهم بتقرير صحَّة ما جاء في «الواسطيَّة»، وقد أدَّى ذلك لتَشوِيشٍ كبيرٍ في دمشق، واستَشاط الأشاعِرة غيظًا وغضبًا وأخَذُوا في الاعتِداء على تَلامِيذ ابن تيميَّة، ومنَعُوا الحافظ جمال الدين المزِّي من التَّحديث بالجامع وحبَسُوه.

وفيها أيضًا تكاتَبَ أشاعِرة الشام مع أشاعِرة مصر؛ للضَّغط على السلطان من أجْل نفْي ابن تيميَّة من الشام إلى مصر ومحاكمته هناك، وبالفعل حُمِل ابنُ تيميَّة إلى مصر في رمضان، وعُقِدت له مناظرةٌ مع العُلَماء والفُقَهاء بها، ولم يمكنوه من الدِّفاع عن نفسه أو الكلام أصلاً، وكان زعيمهم ابن مخلوف قاضي المالكيَّة، وكان من أشدِّ خُصوم ابن تيميَّة وحُسَّاده؛ وذلك لقلَّة علمه وكثْرة خطئه في الفتوى، وأيضًا الشيخ الصوفي الضالُّ الحلولي الاتِّحادي نصر المنبجي، وكان صاحِبَ حظوة ووَجاهَة عند أمير مصر بيبرس الجاشَنكِير، وقد انتَهى الأمر لسجن ابن تيميَّة في القلعة بالقاهرة، ثم وضع بالجب هو وأخوه عبدالله وأخوه الثالث عبدالرحمن، وكتب كتابًا بالحطِّ على الشيخ ابن تيميَّة وعلى عقيدته، وقُرِئ هذا الكتاب في الشام ومصر، وأجبَرُوا الحنابلة على مخالَفته، وحصَلتْ لهم إهانةٌ كبيرةٌ، ومِحنَة عظيمة في سائر البلاد، وعادَت البِدَع للظُّهور بدمشق



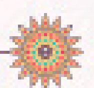
في أثناء سجن الشيخ بمصر؛ فصُلِّيت الرَّغائب في النِّصف من شعبان سنة سبع وسبعمائة، وأُوقِدت النِّيران كالعادة، وكان ابن تيميَّة قد أبطَلَ ذلك كلَّه منذ عدَّة سنوات، وقد حاوَل بعض العُلَماء إخراج ابن تيميَّة من السجن مُقابِل أنْ يرجع عن بعض الأشياء في عقيدته، ولكنَّ ابنَ تيميَّة رفَض وآثَر السجن على التنازُل عمَّا يعتَقِد، وقد ظَلَّ الشيخ في سجنه قرابة العامَيْن، ثم خرَج بشفاعة الأمير حسام الدين مهنا ملك العرب، وظلَّ مُقِيمًا بالقاهرة.

هكذا مَضَتْ سنَّة الله في ابتِلاء عِبادِه الصالِحين من العُلَماء العامِلين، حتى يَمِيزَ الله الخبيثَ من الطيِّب، وقد صبَر هؤلاء العُلَماءُ الأجلاَّء لما تعرَّضوا له من الفِتَن والمِحَن، وما ضَعُفوا وما استكانُوا، وآوَوْا إلى ركنٍ شديدٍ؛ فنجَّاهم الله ممَّا ابتَلاهُم به، ورفَع قدرَهم في الدُّنيا، وجعَل لهم الذِّكر الحسن إلى يوم الناس هذا، ويجعَلُهم في الآخِرة - بإذن الله - من المقرَّبين.[١]

نسأل الله أنْ يرفَعَ قدرَهم في الدار الآخِرة، وأنْ يجمَعَنا بهم في جنَّات النَّعيم.

❊❊❊

(١) موقع الألوكة.



## ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾[1]

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من انتظر الفرج أثيب على ذلك الانتظار لأن انتظار الفرج حسن ظن بالله وحسن الظن بالله عمل صالح يثاب عليه الإنسان»..

■ **قال مذكر بن محمد الشلوي:**

**يا شاكيًا هم الحياة وضيقهــا — أبشـــر فربك قد أبان المنهجا**

**من يتقِ الرحمن جَل جلالـــه — يجعل له من كل ضيقٍ مخرجا**

يقول الامام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا تخلى الناس عنك في كرب فأعلم أن الله يريد أن يتولى أمرك وكفى بالله وكيلاً».

شدة البلاء وتراكمه وطوله لا يقطع حسن الظن بالله ولا يجلب اليأس، فقدَ يعقوب أحب ابنائه وتبعه الآخر ثم فقد بصره ثم قال: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾.

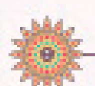
للبلاء خيرٌ يَعْقبه، ومن قلّ صبره قلّ خير بلائه، فإن الصبر مفتاح خير البلاء، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[2].

إلجاء إلى الله، رسالة إلى كل من ضاقت عليه الدنيا لا تيأس من رحمة الله.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٧.

(٢) الترمذي في "جامعه" (٤/ ٢٨٤) برقم: (٢٥١٦) وأحمد في "مسنده" (٢/ ٦٤٨) برقم: (٢٧١٣).



■ **قال محمد بن بشير الخارجي:**

لا تيأسنَّ وإنْ طالَتْ مُطالبةٌ ... إذا استعنتَ بصبرٍ أنْ ترى فَرَجا
إنَّ الأمور إذا انْسَدَّتْ مسالِكُها ... فالصبرُ يفتح منها كلَّ ما ارْتَتَجا
أخْلِقْ بذي الصبرِ أنْ يحظَى بحاجته ... ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يَلِجَا

ونحنُ لا ندري أي أرض و أي قلبٍ أو أي قرار هو خير لنا! لكننا نوقن أن الخير فيما اختاره الله ؛ سلمنا لك زمام امورنا فَاكفنا يالله.

■ **قال الشاعر:**

وكُلُّ بابٍ وإنْ طالتْ مَغالِقُهُ ... يومًا لهُ من جميلِ الصَّبرِ مفتاحُ
كم مِن كروبٍ ظنَنّا لا انفراجَ لها ... حتّى رأينا جليلَ الهمِّ ينزاحُ
فاصبر لربِّكَ لا تيأس فرحمتُهُ ... للخلقِ ظلٌّ وللأيّامِ إصباحُ

ولعلك تنام الليلة على أمر قد يأست منه، لِيوقِظك الله فرحًا بانفراجه ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾.

■ **قال الشاعر:**

قُل للذي نامَ و الأحزان تخنقهُ ... وهمّهُ في ظلام الليل يُشقيه
هوّن على قلبكَ المحزونِ إنّ لهُ ... ربّا سيملؤهُ نوراً و يرويهِ

تفاءلوا والله ما صعبت الا فرجت، وما تعسرت الا تيسرت، وما أغلق باب إلا فتح ألف باب.. وعد من الكريم الوهاب ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦﴾[١].

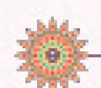
(١) سورة الشرح، الآية ٦.

تأمل قوله تعالى ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[1] حتى في بطن الحوت كان هناك أمل ونحن نفقد الأمل في أبسط الأمور، علق قلبك بالله ولن تخيب بإذن الله ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾.

قال الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشدائد مهما بلغت وتعاظمت لا تدوم ؛ فرحمة الله أعظم وفرجه أقرب ؛ فلا تيأس ولا تقلق، وقل يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث».

***

(١) سورة الأنبياء، الاية ٨٧.



## المِنَح تخرج من أرحامِ المحن

تشتد الكربات وفي طياتها رحمات، تمنت مريم الموت من الكرب ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾[1]. وفي بطنها نبيّ ورحمة للناس.

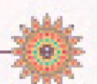
المِنَح تخرج من أرحامِ المحن، ومن سُنن الله في كونه أن أنفسَ الأشياء لا تأتي إلا بعد مشقة.

ولا أعظم مما وقع ونزل على مريم، وفي تلك الحالة من الشدة والضيق قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾[2]، لا تجعل الهموم والغموم تمنعك من الطيبات وحاجتك الدنيوية فلكل أمر نهاية.

### ثلاثة تدفع البلاء:

* الدعاء ﴿مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾[3].
* وشكر النعم ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[4].
* ونصرة الضعفاء (فَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ»[5].

(١) سورة مريم، الآية ٢٣.
(٢) سورة مريم، الآية ٢٦.
(٣) سورة الفرقان، الآية ٧٧.
(٤) سورة إبراهيم، الآية ٧.
(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/ ٣٦) برقم: (٢٨٩٦).



* ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾[1]، ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ﴾[2]، ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ﴾[3]، أمور ظاهرها المصائب والابتلاءات وباطنها الرحمات «رحمة من ربك» فخيرة الله خير للعبد من خيرته لنفسه فلا تقلق.

* ﴿قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾:[4] الظاهر ابتلاء والواقع فرج لله لطف خفي لا تدركه ضآلة أبصارنا.

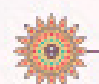
قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيباً وزيادة لهم في الثواب»[5].

■ **قال أبو العتاهية:**

ولعل ما تخشاه ليس بكائنٍ ولعل ما ترجوه سوف يكونُ
ولعل ما هونت ليس بهينٍ ولعل ما شدّدت سوف يهونُ



(١) سورة الكهف، الآية ٧٩.
(٢) سورة الكهف، الآية ٨٠.
(٣) سورة الكهف، الآية ٨٢.
(٤) سورة الكهف، الآية ٧١.
(٥) فتح الباري: (٦/ ٤٨٣).



## فضل الصلاة على الحبيب المختار صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[1].

■ **كما قيل:**

روح المجالس ذكره وحديثه ... وهدى لكل ملدد حيران

وإذا أخل بذكره في مجلس ... فأولئك الاموات في الحيان

❊❊❊

كالغيثِ ذكرُكَ يا حبيبي لمْ يزلْ ... يسقي القلوبَ محبَّةً ونعيمَا

يا سيدَ الثقلينِ حُزتَ مكانةً ... ومقامَ عزٍّ في النفوسِ عظيمَا

يا مَنْ سلكتُمْ نهجهُ وسبيلهُ ... «صلُّوا عليهِ وسلِّمُوا تسليمَا»

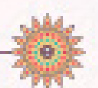
من أعظم مطالب الدنيا:(كفاية الهم، ومن أعظم مطالب الآخرة غفران الذنب، وهما مضمونان بالصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ تكفى همُّك.. ويُغفر ذنبك، فأكثروا من الصلاة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ).

إذا ما ضِقتَ بالعيشِ الكئيب ... فبادر بالصلاة على الحبيب

فما صلى الحزينُ عليه إلا ... أتاهُ اللهُ بالفرج القريب

قال ابن الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو علم المؤمنون فضل الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لما كفّت ألسنتهم عنها كل حين».

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.



**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أراد انشراح الصدر وغُفران الذنب، وتفريج الكرب وذهاب الهم فليُكثر من الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ».

وَاعْلَمُوا رحمكم الله أَن فِي الصَّلَاة على سيدنَا مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عشر كرامات إِحْدَاهُنَّ صَلَاة الْملك الْجَبَّار وَالثَّانِية شَفَاعَة النَّبِي الْمُخْتَار وَالثَّالِثَة الِاقْتِدَاء بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَار وَالرَّابِعَة مُخَالفَة الْمُنَافِقين وَالْكفَّار وَالْخَامِسَة محو الْخَطَايَا والأوزار وَالسَّادِسَة قَضَاء الْحَوَائِج والأوطار وَالسَّابِعَة تنوير الظَّوَاهِر والأسرار وَالثَّامِنَة النجَاة من عَذَاب دَار الْبَوَار والتاسعة دُخُول دَار الرَّاحَة والقرار والعاشرة سَلام الْملك الْغفار.

**قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَاعْلَمُوا أَنه مَا من عبد مُسلم أَكثر الصَّلَاة على مُحَمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام إِلَّا نور الله قلبه وَغفر ذَنبه وَشرح صَدره وَيسر أمره فَأَكْثرُوا من الصَّلَاة لَعَلَّ الله يجعلكم من أهل مِلَّته ويستعملكم بسنته ويجعله رفيقنا جَمِيعًا فِي جنته فَهُوَ المتفضل علينا برحمته»[1].

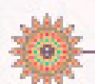
**قال عبدالعزيز الطريفي حفظه الله**: «من أسباب زوال الهموم وغفران الذنوب الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ويوم الجمعة يكون أثر الصلاة أعظم، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ للمصلي عليه **«تُكفَى همَّك ، ويُغفَرُ لك ذنبُك»**[2].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أنه سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا**

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين: (ص ٢٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧) باختلاف يسير، وأحمد (٢١٢٤١) مختصراً



لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[1]

جاء من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات»[2].

■ **قال الشاعر:**

قُـل للفُـؤاد وقـد تَمـادَى غَمُّـه ... مَـالـي أراك مُـسَـهّـداً مَهمُوماً

أو مَـا عَلِمـتَ بـأنّ ربَّـكَ قَائـلٌ ... صَـلُّـوا عَليه وسَـلِّـمُـوا تَسليماً

فبِهَـا يُفَـرّجُ كـلّ كـرب فـادِحٍ ... وتَـكُـونُ ذُخـراً للمَعَاد عظيماً

يَجزيـكَ عَشـراً عَن صَلاتِـك مَرّةً ... وتَـنـالُ عِـزّاً في الـحـيـاة مُقيماً

صلّى الإلـهُ على الحبيـب بفَضله ... وحَـبَـاه قَـدراً في الأنـام عَظيماً

يـا أيُّهـا الراجـون منـه شَفَاعَـةً ... صَلُّوا عَليه وسَلِّمُوا تَسليماً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعندي: أن ساعة الصلاة ساعة ترجى فيها الإجابة أيضـًا، فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة تقدمت أو تأخرت ؛ لأن لاجتماع المسلمين، وصلاتهم، وتضرعهم، وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيراً في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة ،وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها، ويكون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قد حض

(١) رواه مسلم (٣٨٤).

(٢) رواه الإمام أحمد (١١٥٨٧) والنسائي (١٢٩٧) – واللفظ له – بإسناد حسن).

أمته على الدعاء والابتهال إلى الله تعالى في هاتين الساعتين»[1] انتهى.

■ **قال: عبد الرحيم البرعي اليماني.**

| | |
|---|---|
| يا ربّ صلِّ على النبِي المصطفى | ما اهتزّت الأزهارُ من نفس الصَّبا |
| يا ربِّ صل على النبي وآله | ما كوكبٌ في الجوِّ قابل كوكبا |
| صلوا على المختار فهو شفيعكم | في يوم يبعث كل طفل أشيبا |
| صلى وسلم ذو الجلال عليه ما | أزكاهُ في الرسل الكرام وأطيبا |

لقد ذكر ابن القيم تسعا وثلاثين فائدة في الصلاة على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذكرها في كتابه «جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام»

١) امتثال أمر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالصلاة عليه.

٢) موافقة ملائكته فيها.

٣) موافقه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في الصلاة عليه وان اختلفت الصلاتان

٤) حصول عشرة صلوات على المصلي عليه مرة.

٥) أنه يرفع عشر درجات.

٦) أنه يكتب له عشر حسنات.

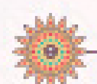
٧) أنه يمحي عنه عشر سيئات.

٨) أنه يرجى اجابة دعائه اذا قدم الصلاة على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أمامه.

٩) أنها سبب لشفاعته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

١٠) أنها سبب لغفران الذنوب.

(١) زاد المعاد: (١/ ٣٩٤).



١١) أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

١٢) أنها سبب لقرب العبد منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة.

١٣) أنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة.

١٤) أنها سبب لقضاء الحوائج.

١٥) أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه.

١٦) أنها زكاة للمصلي وطهارة له.

١٧) أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

١٨) أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

١٩) أنها سبب لرد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ على المصلي عليه.

٢٠) أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه.

٢١) أنها سبب لطيب المجلس وان لا يعود حسرة على اهله يوم القيامة.

٢٢) أنها سبب لنفي الفقر.

٢٣) أنها تنفي عن العبد اسم البخل اذا صلى عليه عند ذكره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

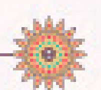
٢٤) أنها ترمي صاحبها على طريق الجنة.

٢٥) أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيها الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

٢٦) أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

٢٧) أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط.

٢٨) أنه يخرج بها العبد عن الجفاء.



٢٩) أنها سبب لإبقاء الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الثناء الحسن على المصلي عليه بين أهل السماء والارض.

٣٠) أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه.

٣١) أنها سبب لنيل رحمة الله له.

٣٢) أنها سبب لدوام محبته للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد عقود الايمان الذي لا يتم الا به.

٣٣) أنها سبب لمحبته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ للعبد.

٣٤) أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه.

٣٥) أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه وذكره عنده وكفى بالعبد نبلا أن يذكر اسمه بين يدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

٣٦) أنها سبب لتثبيت القدم على صراط والجواز عليه.

٣٧) أن الصلاة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أداء لأقل القليل من حقه.

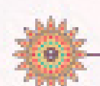
٣٨) أنها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفه انعامه على عبيده بأرساله.

٣٩) أن الصلاة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هي الدعاء ولاريب ان الله تعالى يحب ذلك ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ [(١)].

اللهمَّ صلِّ وسلم على نبينا محمد

❋❋❋

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام: (ص ٥٢١ - ٥٣٦).



## حلاوةُ المُناجاة

المناجاة هي حالة لو عشناها لذقنا نعيم الجنة ونحن في الدنيا.. وهي عبادة امتاز بها الله أهله وخاصته من البشر.. يستطيبون معها الطاعات.. وتحلو لهم فيها الدموع حبًا وشوقًا لخالقهم.. فيقفون ببابه خاشعين طائعين يناجونه بكل الحب.. نعم هي عبادة المناجاة لله جَلَّ وَعَلَا .. ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾[1].

### ما معنى المناجاة؟

المناجاة، هي الكلام سرًا، وناجاه كلّمه سرًا وخفية، وقد قال الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن: «أصلها أن تخلو بمن تناجيه بسرٍ معين في مكان مرتفع منفصل عما حوله. وقيل: أصله من النجاة وهو أن يعاون المُناجَى المناجِي على ما فيه خلاصه وتلبية حاجته»[2].

### حِين تُوقن أنّ دُعاءكَ مَسْمُوع!

* أيّها الماضُون فِي جنحِ اللّيل «بُورِكْ سعيكم»..!!
* أيّها الدّاعونِ في ثلثِ اللّيل الآخر، أيقنوا بِأنّ أياديكمُ المرفوعة .. لاتُفْلِس.!!
* يامن طالَتْ حاجتُهُ اللهُ بِكَ أعلم، ولكَ أرحم ..!
* يامن سألتَ الله .. انتظِرْ بُشرىٰ العطاء.!!

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني: (ص/ ٥٠٦ كتاب النون/ نجو).

* يامن دمعتْ في المحراب عيناهُ، تجاوزتَ قنطرة السؤال .. فاسْتقبِل عطايا الكريم..!!
* أيّها المُلحّونَ ..كم مِن بلاءٍ خفيٍّ عنكم قد صُرِف..!!
* أيّها الرّاجونَ ..خزائنُ الله مَلآىٰ..!!

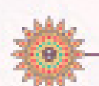
## الفرق بين المناجاة والدعاء:

الدعاء هو السؤال والطلب من الله ليقضي الحاجات، أما المناجاة فهي ليست طلبًا، بل مخاطبة الله تعالى، والحديث إليه بكل الخضوع، وبكل ما في قلبك، وبما يعطِّف قلبه عليك ليجيب دعاءك، ويقضي حاجتك، لذا قال بعضهم المناجاة هي حديث العبد لربه سراً بالتضرع والخضوع والتذلل، قبل أي سؤال أو طلب..

■ **قال مصطفى قاسم عباس: دعاءٌ ومناجاة.**

| | |
|---|---|
| أعطيتَني فوقَ ما أبغِيهِ في زمَنيْ | وإنْ جَنيتُ المعاصيْ كُنتَ تسترُنيْ |
| شكوتُ ذنبيْ وأوزاراً علِمتَ بها | فاغفِرْ ذنوبيَ يا ذا الفضلِ والمِنَنِ |
| في ظلمةِ الليلِ دمعيْ ساجمٌ هطِلٌ | كأنَّهُ وابلٌ يجريْ مِنَ المُزُنِ |
| إنِّي على البابِ في الظلماءِ يا سَنَديْ | أدعُوكَ أنْ تحفظنْ قلبيْ مِن الفِتَنِ |
| فالعمرُ يجريْ كطَيفٍ حَلَّ في خَلَديْ | ثمَّ انقضَى مثلَ حُلْمٍ غاضَ في الوَسَنِ[1] |
| إنْ جاءنِي الموتُ فارحمْ عَبرةً سُكبتْ | مِنَ الّذي في الثَّرى - يا ربِّ - غيَّبَني |
| واغفِرْ ذنوبيْ - إلهي - عِندَ مُغتَسَليْ | وبعدَها - خالِقيْ - إنْ كُنتُ في الكَفَنِ |

(١) الوسَن: النعاس، وهو أول النوم.



■ **ويقول لطفي ذنّون:**

يا راجِيَ الناسِ ربُّ الناسِ موْجودُ ... فالْجَأْ إليْهِ فمِنْهُ الفضْلُ والجُودُ

واقْصُدْهُ دوْماً تجِدْ في بابِهِ فَرَجاً ... والخيْرُ في ساحِهِ والعفْو ممْدودُ

هل تسْأَلُ الناسَ يا ذا العقْلِ مُرْتَجِياً ... وكُلُّ شيءٍ إلى الرحْمنِ مرْدودُ!!

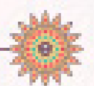
يا راجِيَ الخلْقِ في خوْفٍ وفي أمَلٍ ... لا يُقْصَدُ الخلْقُ والخلّاقُ مقْصودُ

لا تسْألِ العبْدَ يا نَوْمانُ مكْرُمَةً ... من يبْتَغِ الفضْلَ عِنْدَ العبْدِ مصْدودُ

بابُ الكريمِ لِمن ناداهُ مُنْفَتِحٌ ... على الدوامِ وبابُ الناسِ موْصودُ

فارْجعْ لِموْلاكَ في عُسْرٍ وفي يُسْرٍ ... منْ يقْصدِ اللهَ في الحالَيْنِ مسْعودُ





## ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾[1]

قد يبعد الله عنك ما تحب ليشغلك بما يحب، ففي أقدار الله حكمة ورحمة وألطاف خفية تستنير بها الحياة. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾.

### قد يمنع الله عنك سوء الأقدار على هيئة:

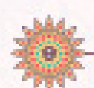
- عطل في سيارتك.
- تأخر في استيقاظك من نومك.
- مرض في جسمك.
- ضيف مفاجئ يمنعك من الخروج.
- رفض زواج.
- عدم القبول في وظيفة.
- تأخر في الإنجاب.

وغيرها الكثير تذكر فقط لو فتح اللهُ لنا الغيب لسجدنا شكراً على أمور حجبها الله عنا فالحمد لله دائماً وأبداً.

لا شيء يأتي كما نتمنى دائمًا، ولكن نحن على ثقة بأن الله يخبئ لنا الأجمل.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ ومع الأيام .. وحين نعلم .. نشكر الله كثيرا .. لأنهُ انقذنا مما لم نكن نعلم، ينتقي الله لنا الأفضل دائما .. الأفضل الذي قد لا تظهر ملامحه ولا يتضح لنا أنه الأفضل ..إلا بعد حين!

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٦.



إلى كل الذين تتأخر أمانيهم، ما أخذه الله فهو لحكمة .. وما أبقاه لرحمة فقد تتأخر الأماني؛ لتكثر العطايا.

لِذا يَتَلاشى حُزْنُنا لفقدان حِكايَة حُبّ حين نَكتَشِفُ بعد انتهاء مواسم الحُزن على الحكاية أن فُقدانَها لم يَكُن سِوى الخَيرِ الذي كُنّا نكرَه.

اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء، وعلوت بعظمتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسر في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك، اجعل لي من كل هم أصبحت أو أمسيت فيه فرجًا ومخرجًا، اللهم إن عفوك عن ذنوبي، وتجاوزك عن خطيئتي، وسترك على قبيح عملي، أطمعني أن أسألك مالم أستوجبه منك مما قصرت فيه،أدعوك آمنًا، وأسألك مستأنسًا، وإنك المحسن إلى، وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك، تتودد إلى بنعمتك، وأتبغض إليك بالمعاصي، ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك، فعد بفضلك وإحسانك عليّ،إنك أنت التواب الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

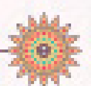
بسم الله ما شاء الله و لا قوة إلا بالله .

ما شاء الله كل نعمة من الله ..

ما شاء الله الخير كله بيد الله ..

ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله.





## ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ ﴾[1]

الله القريب لن يدعك تبكي طويلاً، سيهبك فرحـًا يُحييّ روحك التي أرهقها اليأس اطلبه حُلمـًا وتأكد أنه سيعطيك حتى ترضى فكيف لا وقد قال ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ ﴾.

أنه مهما تعاظم مطلبك فقدرت الله أعظم، فإن كان في داخلك أمل يرجو الله فربك لا شيء عليه عسير، وإنما إذا أراد شيء قال له كن فيكون.

■ **قال الشاعر مناجيا ربه :**

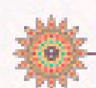
سـأظل طـولَ العمـر بابَـك أقرع ... يا خير من لي يستجيب ويسمع
أنت الـذي يَقضي الحوائـجَ كلها ... أنت الذي يعطي العطاءَ ويَمنع
فـإذا وهَبْـتَ فـذاك فضـلٌ سـابقٌ ... هـذا الـذي أرنـو إليـه وأطـمع
وإذا منعـتَ فأنـتَ ربـي خالقـي ... حاشا يـداي لغير جـودك ترفع
مالـي سـوى ذُلِّـي إليـك وسـيلةٌ ... والقلب يبكي والمدامع تدمع
أنـت المـرادُ وليـس غيـرُك بُغيتي ... يـا خيـر مـسـؤولٍ لـه أتـضـرعُ
فاحنُنْ عليَّ وَجُدْ بفضلك سـيدي ... يـا من إليـه الملتجا والمرجعُ

حين تنادي يارب أبشر فلن تخيب إما ملبي لك النداء، أو مدفوع عنك البلاء، أو أجر مكتوب في الخفاء.

فليشرف يومك حمداً بأن لك ربـًا، إذا أغلقت الأبواب لا يغلق بابه، وإذا انقطعت الأسباب جاء إمداده.

---

(١) سورة الضحى، الآية ٥.



## لي عند الله خبيئةً لم أخبر بها أحداً

من أعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى أن يكون بينه وبين خالقه خبيئة، «عمل صالح»، يفعله في الخفاء، لا يطلع عليه أحد من الخلق، ابتغاء الأجر منه سبحانه، بلا رياء، أو مظهرة، فلا ينشغل إلا بما يرضاه، ولا يهتم إلا بطاعته.

وهناك ألوان عديدة لوجوه البر والطاعة، التي يمكن أن تجعلها «خبيئة» بينك وبين ربك، ولا تطلع أحدًا من العباد عليها، فيدخرها الله في ميزان حسناتك، إما أن يدفع عنك بها بلاءً، أو يفتح لك أبواب الخير، أو يفرج بها عنك كربة، فلا شيء يضيع أبدًا عند من لا تضيع ودائعه.

قد تكون الخبيئة الصالحة صدقة يدفعها صاحبها إلى مستحقيها بعيدا عن أنظار المدّاحين وعيون الناس أجمعين، متحليا بذلك بصفة واحد من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما أخبر الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ..»[١].

وقد جاء في الأثر أن عليَّ بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كانت له خبيئة من العمل الصالح لم يعلم بها أحد إلا بعد وفاته، كان يتصدق ويعيل مائة بيت من بيوت الأرامل والأيتام والفقراء سرا بالليل، فلما توفي انقطعت المؤنة عن مائة بيت كان يأتيهم رزقهم بالليل من مجهول، فعلموا أنه هو الذي كان يحمله إليهم وينفق عليهم.

وقد تكون الخبيئة الصالحة عبادة خفية كصلاة في جوف الليل والناس نيام،

(١) صحيح البخاري (رقم/ ١٤٢٣).

أو صيام يوم شديد الحر بينما عامة الناس مفطرون، وقد أورد صاحب كتاب سير أعلام النبلاء خبر خبيئة داود بن أبي هند الذي صام أربعين سنة لا يعلم به أهله ولا حتى زوجته، وكان خزازا يحمل معه غداءه فيتصدق به في الطريق ويرجع عشيا فيفطر، فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهله أنه قد أكل في السوق.

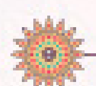
وقد تكون الخبيئة الصالحة قضاء حوائج المسلمين من الضعفاء والعاجزين والمساكين، وهو ما اشتهر به أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ والسلف الصالح من هذه الأمة، وأولهم أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، فقد جاء في كتاب ابن عساكر «تاريخ دمشق» عن أبي صالح الغفاري (أن عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيستقي لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يُسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو أبو بكر الصديق الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمري)[١].

**قال الشيخ ناصر العمر حفظه الله:** لا يمكن تعداد واستقصاء جميع مزايا وخصائص الخبيئة الصالحة والعمل الخفي الخالص لوجه الله تعالى، وما لا يدرك كله لا يترك كله، ويكفي ذكر بعض تلك المزايا والخصائص لاستنهاض الهمم لتكون لكل مسلم خبيئة صالحة وأهمها:

### ١) الخبيئة الصالحة هي في الحقيقة صك براءة من النفاق والرياء:

فلا يمكن أن يخالط الرياء وحب الظهور العمل الخفي، كما لا يمكن أن

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠/ ٣٢٢).



يتسلل النفاق إلى العمل الخالص لوجه الله.

ونظرا للتعارض والتناقض التام بين الرياء والعمل الخفي والنفاق والإخلاص، فلا يمكن لمدمني الظهور والرياء و المنافقين أن تكون لهم خبيئة صالحة أو عمل صالح خفي، فهي صفة وخصلة الصالحين من عباد الله فحسب.

### ٢ ) الخبيئة الصالحة رصيد المؤمنين في أوقات اشتداد الأزمات ونزول الكروب :

فهي تعينهم على الثبات وعدم الاضطراب في زمن الفتنة أولا، وتكون سببا في نجاتهم واستجابة دعائهم في الملمات ثانيا.

ويكفي في هذا المقام ذكر حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم «خبيئة صالحة»، فدعوا بتلك الأعمال الخفية الصالحة فكانت سببا لنجاتهم وخروجهم سالمين[(١)].

### ٣ ) الخبيئة الصالحة دليل على صدق الإيمان وقوة اليقين بموعود الله سبحانه :

فأمثال هذه الأعمال الخفية لا يمكن ان تصدر إلا من رجل قوي إيمانه بما أعده الله تعالى للمخلصين من عباده، وأيقن باطلاع الله تعالى على سره وعلانيته، وهو بتلك الخبيئة يصل إلى منزلة الإحسان في العبادة التي أخبر عنها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(٢)].

❊❊❊

---

(١) صحيح البخاري (رقم/ ٢٢٧٢).

(٢) صحيح البخاري (رقم/ ٥٠) .

## ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾[1]

قال الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا تصدق بأن أحدا لا ينقصه شيء.. تأكد بأن الحياة تأخذ من الجميع..) لا سعيد إلا من أسعده الله، فالله هو الذي أضحك وأبكى وهو الذي أسعد وأشقى وهو الذي أغنى وأقنى

فالسعادة ... ليست بالزواج ولا بالأولاد ولا بالأصدقاء ولا بالسفر ولا بالشهادات ولا بالماركات ولا بالمناصب ولا بالرفاهية ولا بالبيوت ..السعادة كل السعادة في اتصالك بالله

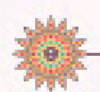
درب نفسك على كثرة طرق باب الله حتى يبقى الحبل ممدودا بينك وبين الله .. هذه هي السعادة الحقيقية.

■ **يقول محمد ضرمان الشولاني:**

يقولـونَ لـيْ ما بـالُ قلبِـكَ واثقـًا ... وحولكَ أمواجُ المصائبِ تعصِفُ؟
فقلتُ لهُم إنّـيْ اعتصمْتُ بخالقي ... فمن أيِّ شيءٍ يا ترى أتخوَّفُ؟!

يقول الدكتور سلمان العودة حفظه الله: «أن الإنسان إذا ألمَّتْ به مُلمَّة، أو نزلت به نازلة، أو حلت عليه مصيبة فتوجَّه بقلبة إلى ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهتف بلسانه من قلب صادق، وقال: ياصمد! ياصمد! يا صمد! عندها سيكون لهذا النداء وهذه الاستغاثة بالله عَزَّوَجَلَّ يقين في القلب ورضى بالله وثقة بوعد سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وبسرعة الفرج وقربه.. الشيء الكثير. بينما إذا سأل الناس ربما أعطوه أو منعوه،

(١) سورة التوبة، الآية ١١٨.



وفي كل الأحوال لا شك أنه سأل إنسانًا مثله ونظيره، بينما الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يدعونا إلى أن نسأله، ونتوجَّه إليه ونبتهل إلى جلاله وعظمته»[1].

■ قال الشاعر:

أمام بابك كل الخلق قد وفدوا ... وهم ينادون: يا فتاح يا صمد

فأنت وحدك تعطي السائلين ولا ... يرد عن بابك المقصود من قصدوا

والخير عندك مبذول لطالبه ... حتى لمن كفروا لمن جحدوا

إن انت ياربِّ لم ترحم ضراعتنا ... فليس يرحمهم من بينهم أحد

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عندما تيأس من كل شيء وتتعلق بالله وحده بصدق، وتدعوه بيقين فإن الفرج والتيسير يأتيك من حيث لا تحتسب، ومن ضاقت عليه الأسباب، وضاقت عليه نفسه وظن أن لا ملجأ من الله إلا اليه لا يتخلف عنه الفرج والتيسير البتة»[2].

الله ما تعلق به فقير إلا أغناه، وما تعلق به مريض إلا وشفاه، وما تعلق به مهموم إلا أزال همّه وكفاه، وما تعلق به ضالا إلا هداه، فعلق قلبك بالله وحده لا شريك له.

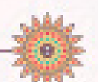
■ قال ابن نباتة السعدي:

بمن يستغيثُ العبدُ الاَّ بربهِ ... ومن للفتى عندَ الشدائدِ والكربِ

ومَنْ مالكُ الدنيا ومالك أَهلها ... ومن كاشف البلوى على البعد والقُربِ

(١) كتاب مع الله: (ص ٢٣٦).

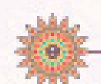
(٢) كتاب الفوائد لابن القيم: (ص ٨٦).



**ومـن يدفـعُ الغَمَّـاءَ وقـتَ نزولها وهل ذاكَ الاّ من فعالِكَ يا ربّي**

التعلق بالله هو الأمن الذي لا يصحبه خوف، والطمأنينة التي لا يشوبها قلق فيا ربّ لا تعلق قلوبنا إلا بك.

❋❋❋



## ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾[1]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾[2].

### هل يوجد شيء يغير القدَر؟

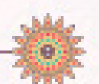
* ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾[3].
* التحليل: التسبيح هو تبجيل لعظمة اللّٰه، وتقديس لذاته، وتعظيم لقدرته وإجلال لهيبته.
* والتسبيح خضوع لله وامتثال لأوامره وانقياد لشرعه، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١﴾[4].

### ومن أعجب المعلومات التي زودنا بها القرآن أننا نعيش في عالم يعج بالتسبيح:

* ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾[5].
* ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾[6].

---

(١) سورة طه، الآية ١٣٠.
(٢) سورة الحجر، الآيات ٩٧-٩٨.
(٣) سورة الصافات، الآيات ١٤٣- ١٤٤.
(٤) سورة النور، الآية ٤١.
(٥) سورة الرعد، الآية ١٣.
(٦) سورة الأنبياء، الآية ٧٩.



* ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[١].

**والتسبيح عبادة تتقرب به المخلوقات إلى ربها دون فُتور أو مَلل.**

* قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾[٢].

* وقال أيضا: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[٣].

ولما خرج زكريا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من محرابه أمر قومه بالتسبيح قال: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾[٤].

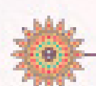
ووجدت أن التسبيح ذكر أهل الجنة قال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[٥].

والتسبيح هو ذكر الملائكة قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[٦].

لاحظوا كيف استوعب التسبيح سائر اليوم قبل الشروق وقبل الغروب وآناء الليل وأول النهار وآخره.

---

(١) سورة الإسراء، الاية ٤٤.
(٢) سورة فصلت، الآية ٣٨.
(٣) سورة الأنبياء، الايات ١٩- ٢٠.
(٤) سورة مريم، الآية ١١.
(٥) سورة يونس، الآية ١٠.
(٦) سورة الشورى، الآية ٥.



ماذا بقي من اليوم لم تشمله هذه الآية بالحثّ على التسبيح والرضا في هذه الآية عام في الدنيا والآخرة..

التسبيح هو ذكر جميع المخلوقات قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١﴾[1].

والتسبيح والرضا النفسي لم تكونا مرتبطتين في صورة واضحة ولكن مرّرت بآية من كتاب الله كأنها كشفت لي سرّ هذا المعنى، وكيف يكون التسبيح في سائر اليوم سبباً من أسباب الرضا النفسي يقول تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾[2].

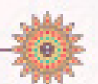
وقال تعالى في خاتمة سورة الحجر ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾[3].

فانظر كيف أرشدت هذه الآية العظيمة إلى الدواء الذي يستشفى به من ضيق الصدر والترياق الذي تستطبّ به النفوس.

سبحان الذي لا تطيب الدنيا إلا بذكره ولا تطيب الآخرة إلا بعفوه .. سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

* ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**من قال حين يصبحُ وحين يمسي: سبحانَ اللهِ وبحمدِه مئةَ مرةٍ، لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامةِ بأفضلِ ممّا جاء به، إلّا أحدٌ قال مثلَ ما**

(١) سورة النور، الاية ٤١.
(٢) سورة طه، الآية ١٣٠.
(٣) سورة الحجر، الآيات ٩٧-٩٨.



قال، أو زاد عليه»[1].

* وفي روايةٍ أخرى عن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «من قال سبحانَ اللهِ وبحمدِه مئةَ مرةٍ غُفِرَتْ له ذنوبُه ولو كانت مثلَ زبدِ البحرِ»[2].

* عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»[3].

* عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «كلمتان خفيفتان على اللِّسانِ، ثَقيلتان في الميزانِ، حبيبتان إلى الرَّحمنِ: سبحان اللهِ العظيمِ، سبحان اللهِ وبحمدِه»[4].

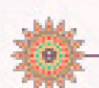


(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨/ ٦٩) برقم: (٢٦٩٢)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/ ١٢٦) برقم: (٣٢٩٣) ومسلم في "صحيحه" (٨/ ٦٩) برقم: (٢٦٩١).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨/ ٨٥) برقم: (٢٧٣١)، (٨/ ٨٦) برقم: (٢٧٣١).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/ ٨٦) برقم: (٦٤٠٦)، (٨/ ١٣٩) ومسلم في "صحيحه" (٨/ ٧٠) برقم: (٢٦٩٤).



﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠﴾[1]

لا تستهين بلحظة استغفار، فإنك لا تعلم كم منّ الخير سترزق وكم مِن بلاء سوف يرفع عنك ومال سترزق به، فأكثر من الاستغفار (اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك).

**قيل: لو كان الإنسان يستغفر أكثر مما يشتكي لوجد راحته قبل أن يشتكي.**

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾[2]. هنا الدرع الواقي عن عذاب الله، هنا الأمان من شرور الحياة، كن مستغفرًا تكن مطمئنًا.

كونوا من المستغفرين في الأسحار، فبالإستغفار؛ دعواتٌ ترفع، وأبوابٌ تفتح وهمومٌ تكشف، وسعادةٌ تمنح، وذنوب تغفر.

بعض الأحزان لا يكسرها إلاّ مددُ الإستغفار، ولا يضعفُ شوكتها إلاّ جبينٌ يُلامسُ الأرض

قال الله تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾[3].

وشكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له : استغفر الله ، وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولداً؛ فقال له: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال له: استغفر الله، فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت

(١) سورة نوح، الآية ١٠.
(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٣.
(٣) سورة نوح، الآيات ١٠-١٢.

من عندي شيئًا؛ إن الله تعالى يقول في سورة نوح ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّـٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾[1][2].

## أما صيغ الاستغفار:

فأفضل ذلك ما ثبت في السنة الصحيحة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقوله، أو ما أوصى به الأمة أن تقوله.

١ ) عن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**». قال: ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[3].

٢ ) عن أبي موسى الأشعري عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه كان يدعو بهذا الدعاء «**رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير**»[4].

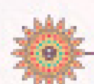
---

(١) سورة نوح، الآيات ١٠-١٢.

(٢) فتح الباري: ١١/ ٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/ ٦٧) برقم: (٦٣٠٦)، (٨/ ٧١) برقم: (٦٣٢٣).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/ ٨٤) برقم: (٦٣٩٨)، (٨/ ٨٥) برقم: (٦٣٩٩) ومسلم في "صحيحه" (٨/ ٨٠) برقم: (٢٧١٩)، (٨/ ٨١) برقم: (٢٧١٩) .



٣ ) عن ابن عمر قال: إنْ كنَّا لنعدُّ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجلس يقول «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»[١] مائة مرة . ورواه الترمذي وعنده «التواب الغفور».

٤ ) عن أبي يسار عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ وأتوب إليه غفر له وإن كان فر من الزحف»[٢].

٥ ) عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: قل «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[٣].

### أنَّه سببٌ لانشراح الصدر:

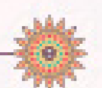
لما جاء في الحديث الذي في مسلمٍ عن الأغرِّ المزني - وكانتْ له صُحبة - أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّه ليُغان على قلبي، وإنِّي لأستَغفِر الله في اليوم مائة مرَّة»[٤].

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٩/ ١٧٢) برقم: (١٠٢١٩)، وأبو داود في "سننه" (١/ ٥٥٩) برقم: (١٥١٦) والترمذي في "جامعه" (٥/ ٤٣٣) برقم: (٣٤٣٤) وابن ماجه في "سننه" (٤/ ٧١٨) برقم: (٣٨١٤) وأحمد في "مسنده" (٣/ ١٠٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (١/ ٥٦٠) برقم: (١٥١٧) والترمذي في "جامعه" (٥/ ٥٣٦) برقم: (٣٥٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/ ١٦٦) برقم: (٨٣٤)، (٨/ ٧٢) برقم: (٦٣٢٦)، (٩/ ١١٨) برقم: (٧٣٨٧) ومسلم في "صحيحه" (٨/ ٧٤) برقم: (٢٧٠٥)، (٨/ ٧٤) برقم: (٢٧٠٥).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨/ ٧٢) برقم: (٢٧٠٢)، (٨/ ٧٢) برقم: (٢٧٠٢)، (٨/ ٧٣) .



٦ ) عن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»[١].

* يقول ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: «من اتصف بصفة الاستغفار - يسّر الله عليه رزقه - وسهَّل عليه أمرَه - وحفظ عليه شأنه وقوته».

* روي عن لقمان أنه قال لابنه: «يا بني عود لسانك "اللهم اغفر لي" فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلا».

* قال علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار».

### أنَّ بسببه تحلُّ المشاكل الصعبة والعَوِيصة:

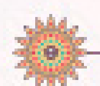
فهذا شيخ الإسلام ابن تيميَّة كما يقول تلميذه ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ: «وشَهِدتُ شيخَ الإسلام ابنَ تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ إذا أعيَته المسائل واستعصَتْ عليه، فرَّ منها إلى التوبة والاستغفار والاستعانة بالله واللجوء إليه، واستِنزال الصوابِ من عنده، والاستفتاح من خَزائن رحمته، فقلَّما يلبَثُ المددُ الإلهي أنْ يَتتابَع عليه مَدًّا، وتَزدلِف الفتوحات الإلهيَّة إليه، بأيَّتهنَّ يبدأ»[٢].

### الاستِغفارُ له تأثيرٌ عجيبٌ في زَوال الهموم والغُموم وتفريجِ الكروب:

يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ مُبيِّنًا ذلك: «فالمعاصي والفَساد تُوجِب الهمَّ والغمَّ

(١) النسائي في "الكبرى" (٩/ ١٧١) برقم: (١٠٢١٧) وأبو داود في "سننه" (١/ ٥٦٠) برقم: (١٥١٨) وابن ماجه في "سننه" (٤/ ٧٢١) برقم: (٣٨١٩).

(٢) إعلام الموقعين: (٤/ ١٧٢).

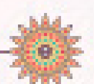


والخوف والحزن وضيق الصدر، وأمراض القلب، حتى إنَّ أهلَها إذا قضوا منها أوطارهم وسئِمَتْها نفوسُهم ارتكَبُوها دفعًا لما يجدونه في صُدورهم من الضيق والهمِّ والغمِّ... وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب فلا دواءَ لها إلاَّ التوبة والاستغفار»[١].

❊❊❊

(١) زاد المعاد: (٤/ ٢٠٨ - ٢٠٩).





## ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[1]

فوّض أمرَك لله، وكُن مُطمئنًا، لا أحد يستطيع أن يُغلق بَابًا..، فَتحه الله لك.
﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾[2].

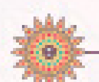
* **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي:** ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ﴾ خيرٌ ولا شرٌّ ﴿إِلَّا﴾ وهو مقدَّرٌ مكتوبٌ علينا ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَا﴾ ناصرنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ وإليه فليفوِّض المؤمنون أمورهم على الرِّضا بتدبيره.

* **تفسير البغوي «معالم التنزيل»:** ﴿قُل﴾ لِهَمْ يَا مُحَمَّدُ ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾، أَيْ: عَلَيْنَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَا﴾، نَاصِرُنَا وَحَافِظُنَا. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: هُوَ أَوْلَى بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا فِي الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾.

تأمل ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾، فلم يقول سبحانه (علينا؟ بل هي لنا، فمهما أحاطت بك الهموم وحاصرت المصائب والمحن، فلتعلم أنها لك خير.

قال رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحدٍ إلا للمُؤمنِ إنْ أصابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصابتهُ ضَرَّاءُ

(١) سورة التوبة، الآية ٥١.
(٢) سورة التوبة، الآية ٥١.



صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ»[١].

المعنى أنَّ المؤمنَ الكاملَ في الحالَينِ عَلَى خَيرٍ هُوَ عِنْدَ اللهِ إِنْ أصابتهُ نِعْمَةٌ بَسْطٌ وَرَخَاءٌ في الرِّزْقِ وغيرِ ذلكَ يَشْكُرُ اللهَ وإنْ أصابَتهُ ضَرَّاءٌ أي بليةٌ ومُصِيبةٌ يصْبرُ ولا يَتسَخَّطُ عَلى ربِّه بلْ يَرْضَى بقَضَاءِ ربِّه فيكونُ لهُ أجْرٌ بهذِهِ المصيبةِ. ومَعْنَى الشكْرِ هو أنْ يَصْرِفَ الإنسَانُ النعَمَ التي أعْطَاهُ اللهُ فيمَا يحبُّ اللهُ ليسَ فيمَا حَرَّمَ اللهُ، وليسَ الشكرُ مجرد أنْ يفرحَ الإنسانُ بالنعَمِ التي يَنالُها ويقولَ إذا فَرِحَ الحمْدُ للهِ والشكرُ للهِ، لا يكونُ العبدُ بهَذا شَاكرًا للهِ.

❊❊❊

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨/ ٢٢٧) برقم: (٢٩٩٩).

## ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾[1]

الرزق مقسومٌ محتومٌ للإنسان، فإن لكلٍّ رزقَه الذي يُكتب له منذ الأربعين يوماً في بطن أمّه، فلا يسلبه إياه أحدٌ أو ينازعه؛ لأن الله تكفّل به حيث قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾، ولأجل هذا ينالُ الإنسان رزقه كاملاً كما قسمه الله له، ولن يخرج من الدنيا قبل أن يستوفيه، وما واجبنا هنا سوى السعي الحثيث المتواصل، كما قال الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾[2]، وفي هذه إشارة واضحة للسعي في طلب الرزق، فالله هو الرازق لكن على الإنسان ألا يركن لذلك فيتواكل، بل يأخذ بالأسباب جميعها، ثمّ يتوكل على الله عزّ وجلّ.

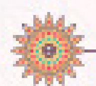
عن عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، ثُمَّ يُكْتَبُ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ أَوْ قِيدُ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ أَوْ قِيدُ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»[3].

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٢٢.

(٢) سورة الملك، الآية ١٥.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/ ١١١) برقم: (٣٢٠٨)، (٤/ ١٣٣) ومسلم في "صحيحه" (٨/ ٤٤) برقم: (٢٦٤٣)، (٨/ ٤٤).



إذا عصـاك الدهـر يومـــــا فاسأل المولى تسهيل الأمــور

لا تجـزع لضيـق الـرزق أبـدا يـرزق العصفور من بين النسور

واعلـم بـأن الله يعلـم نظـرة الـعيـن ومـا تـخفـي الـصـدور

كـن شاكـرا مـا دمـت حيـــا واعـلـم بـأن الـدنيـا أيـام تـدور

❊❊❊

## أشكال الرزق:

يظنّ البعض أنّ الرزق هو المال وحده، وهذا فهمٌ قاصرٌ لحقيقة الأمر، غير أنّ الرزق بابٌ شاسعٌ واسعٌ؛ فالرزق هو كلّ ما أنعم الله على عباده من نِعَمْ سواء ماديّة أو معنويّة؛ كالمال، والزوج، والولد، والأهل، والصحة، والحب، والقبول، وغير ذلك، وسمّي كلّ ذلك رزقـًا؛ لأنه مقدّرٌ من الله عزّ وجل، ولذلك فإنّ كلّ ما مَنّ به الله على عباده هو رزقٌ يجب على هذا الإنسان شكره والحفاظ عليه.

■ **روائع الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورزقـك لـيس ينقصـه التـأني ولـيـس يـزيـد في الــرزق العناء

ولا حـزن يـدوم ولا سـرور ولا بـؤس عـلـيـك ولا رخـاء

إذا مـا كـنـت ذا قلـب قنـوع فـأنـت ومـالـك الـدنـيـا سـواء

## أسباب سعة الرزق:

لسعة الرزق أسبابٌ كثيرةٌ أهمّها:

١ ) ترك الحرامَ وخشية الله طلبـًا لما عنده: فالله يخلف تارك الحرام خيراً؛

حيث إنّه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

٢ ) **كثرة ذكرا لله:** وكما قيل: «إن الله يعطي الذاكرين أكثر ممّا يعطي السائلين»، والذكر يكون بالدعاء والصلاة، وخاصّة قيام الليل، والصلوات المفروضات، وصلاة الحاجة، وكذلك الاستغفار، والابتهال والتضرّع لله عَزَّوَجَلَّ، حيث قال المولى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾[1]، فالاستغفار، والذكر، والإنابة سببٌ في سعة الرزق، ونزول الغيث، وكثرة المال، والزرع، والبنين، والإكثار من «لا حول ولا قوة إلا بالله» فإنها كنزٌ من كنوز الجنة، وخلاص من تسعةٍ وتسعين همـاً.

٣ ) **الإنفاق في سبيل الله وكثرة الصدقات:** كما في الحديث القدسي: «يا ابن آدم أَنفق أُنفق عليك»[2]، وهذه بشرى عظيمة كما حدث مع عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ حين كثر ماله وعمّ، فلمّا سئل عنه فأجاب: ما أفعل إن كنت أنفق بالصباح مئة فتأتيني ألف في المساء؟ وقد صدَقَ من قال: «نِعْمَ المال الصالح في يد العبد الصالح».

٤ ) **شكر الله:** حيث قال الله: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[3] فالرزق مقرونٌ إذاً بالشكر الذي هو تعبيرٌ منّا عن إحساسنا بفضل الله علينا.

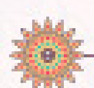
٥ ) **الجهاد والهجرة في سبيل الله، وصلة الرحم، وبرّ الوالدين:** والأحاديث

---

(١) سورة نوح، الآيات ١٠-١٢.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦/ ٧٣) برقم: (٤٦٨٤)، (٧/ ٦٢) برقم: (٥٣٥٢) ومسلم في "صحيحه" (٣/ ٧٧) برقم: (٩٩٣)، (٣/ ٧٧) برقم: (٩٩٣).

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٧.



في هذا كثيرةٌ، لعلّ أبرزها ما رواه البخاري في مسنده حيث قال: روي عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «**مَن سرَّهُ أن يُبسطَ لَه في رزقِه، وأن يُنسَأَ لَه في أثرِه، فليَصِلْ رَحِمَهُ**»[1]. والأولى بالصلة والمعروف والرحمة الوالدان اللذان هما أقرب الناس، كما أنّ لدعاء الوالدين ورضاهما أثراً كبيراً في توفيق العبد وسعْده في دنياه وأخراه.

٦ ) **البكور إلى العمل.**

٧ ) **الأمانة في العمل:** فالأمانة التي ضيعت وحُرم الكثيرون من رزقهم بسببها، تحرم المعتدي رزقه، فالموظف الذي يعتدي في عمله على الحق العام، وينهب ظنّاً منه أنّ ذلك سيغدق عليه الخير الكثير، سيُمحق ماله، وتنزع بركته، ويقطع عليه رزقه، لذلك كلّما كان الإنسان أميناً يسّر الله له رزقه، وباركه، وأنماه.

٨ ) **الصدق مع الله ومع الناس:** والبعد عن الرياء، والنفاق، والذنوب التي تحول جميعها بيننا وبين النعمة.

٩ ) **النية الحسنة:** هي سبب مهمّ، ففي حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إنّما الأعمالُ بالنياتِ، وإنّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»[2].

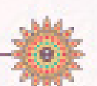
١٠ ) **السعي في حاجة الإخوة، والأيتام، والأرامل.**[3]

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣/ ٥٦) برقم: (٢٠٦٧)، (٨/ ٥) برقم: (٥٩٨٦) ومسلم في "صحيحه" (٨/ ٨) برقم: (٢٥٥٧)، (٨/ ٨) برقم: (٢٥٥٧)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/ ٦) برقم: (١)، (١/ ٢٠) ومسلم في "صحيحه" (٦/ ٤٨) برقم: (١٩٠٧)، (٦/ ٤٨) برقم: (١٩٠٧).

(٣) موقع موضوع في النت.



■ **قال الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

| | |
|---|---|
| تَوَكَّلتُ في رِزقي عَلى اللَهِ خالِقي | وَأَيقَنتُ أَنَّ اللَهَ لا شَكَّ رازِقي |
| وَما يَكُ مِن رِزقي فَلَيسَ يَفوتَني | وَلَو كانَ في قاعِ البِحارِ العَوامِقِ |
| سَيَأتي بِهِ اللَهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ | وَلَو لَم يَكُن مِنّي اللِسانُ بِناطِقِ |
| فَفي أَيِّ شَيءٍ تَذهَبُ النَفسُ حَسرَةً | وَقَد قَسَمَ الرَحمَنُ رِزقَ الخَلائِقِ |

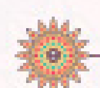
﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾[1] إنْ لم تعرف عنوان رزقك .. فلا تخف.. لأنّ رِزقك يعرف عنوانك .. فإن لم تصل إليه .. فهو حتما سيصل إليك.

غلاء الاسعار ورخصها لا يُغير رزقًا قد كتبه الله لنا ونحن أجنَّة في بطون أمّهاتنا، ولو كان الرزق في الأرض لهلك الناس ولكنه في السماء قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ توكل على الله.

«اللهم صُبَّ علينا الرزق صبّا ولا تجعل عيشنا كدًّا»

❁❁❁

(١) سورة الذاريات، الآية ٢٢.



## لا حول ولا قوة إلا بالله

قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩﴾[1].

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: أَلَا أَدُلُّك عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[2].

إلى كل من يشتكى من قلة الرزق أو كثرة الدِّين أو المرض أو المشاكل والهموم والغموم والأحزان، ويبحث عن الفرج والمخرج فعليه بلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا أتعبك الشيء وعجزت عنه قُل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن الله تعالى يُعينك عليه).

وقيل: «ما فُتحت مغاليق الأمور بمثل قول «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» ولو يعلم صاحب الحاجة ما في هذه الكلمة من العون والتوفيق والسداد ما تركها «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

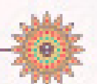
وكل ما مررت بضيق إلزم «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» ستجدُ عجباً من التيسير بإذن الله.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الكلمة بها تُحمل الأثقال وتكابد الأهوال

---

(١) سورة الكهف، الآية ٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/ ٥٧) برقم: (٢٩٩٢)، (٥/ ١٣٣) برقم: (٤٢٠٥) ومسلم في "صحيحه" (٨/ ٧٣) برقم: (٢٧٠٤)، (٨/ ٧٣) برقم: (٢٧٠٤)، (٨/ ٧٣).



وينال رفيع الأحوال «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر أثراً في فضل لا حول ولا قوة الا بالله، يقول إن الملائكة لما أمروا بحمل العرش استعظموا ذلك، فقال الله لهم: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما قالوها حملوه.

**يقول الشيخ عبدالعزيز الشثري حفظه الله:** «لا حول ولا قوة إلا بالله لن تجد أثراً للحوقلة، حتى نلهج بها بنية إظهار العجز إلى الله وحده، ونحقق عبودية الافتقار من الحول والقوة إلا به، لا لمجرد نية تغير الحال في العاجل، ولا تستعجل الثمرة، فقد تتأخر كفاية الله لك لحكمة تخفاك فأقبل عليه والرضا يملأ قلبك بقدره، ويفيض ثقة بمعونته ثم لا تبالي كيف يأتي الفرج».

**يقول الشعراوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ملازمة قول» لا حول ولا قوة إلا بالله «يفتح المغلقات ويذلل الصعوبات فلا يفتر لسانك من قولها، ستجد ثمرتها في الدنيا وكبير ثوابها في الآخرة».

وهذه الجملة العظيمة فيها التسليم لله تعالى والاعتماد عليه، وأن (الحول) - أي الحركة، أو (التحول) من حال إلى حال - والقوة على الطاعة، لا تكون إلا بالله.

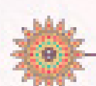
فلا تحول عن معصية الله، إلاّ بتوفيقه وعصمته، ولا قوة على طاعته إلاّ بمعونته.

**قال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الهروي: قال أبو الهيثم: الحول الحركة، أي لا حركة، ولا استطاعة إلا بمشيئة الله»[1]. وكذا قال ثعلب وآخرون.

**والقوة:** معناها القدرة والاستطاعة. أي لا يقدر أحد على شيء إلا بمعونة الله.

---

(١) النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح مسلم" (٤/ ٨٧).



**ويقال:** القوة والقدرة والوُسع والطاقة، بمعنى واحد..

فدلت هذه الكلمة العظيمة على أنه ليس للعالم العلوي والسفلي، حركة وتحول، من حال إلى حال، ولا قدرة على ذلك ؛ إلا بالله.

ومن الناس من يفسر ذلك بمعنى خاص، فيقول: لا حول عن معصيته إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته.

**والصواب، الذي عليه الجمهور:** هو التفسير الأول، وهو الذي يدل عليه اللفظ؛ فإن الحول لا يختص بالحول عن المعصية، وكذلك القوة لا تختص بالقوة على الطاعة ؛ بل لفظ الحول يعم كل تحول.

**ويقول ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَأَمَّا تَأْثِيرُ "لا حول ولا قوة إلا بالله" فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ يعني: «داء الهم والغم»: فَلِمَا فِيهَا مِنْ كَمَالِ التَّفْوِيضِ، وَالتَّبَرِّي مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، إِلَّا بِهِ، وَتَسْلِيمِ الْأَمْرِ كُلِّهِ لَهُ، وَعَدَمِ مُنَازَعَتِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَعُمُومُ ذَلِكَ لِكُلِّ تَحَوُّلٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ، وَالسُّفْلِيِّ، وَالْقُوَّةِ عَلَى ذَلِكَ التَّحَوُّلِ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِاللهِ، وَحْدَهُ فَلَا يَقُومُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ شَيْءٌ، وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ إِنَّهُ مَا يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ وَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي طَرْدِ الشَّيْطَانِ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ»[1]. انتهى

فهذه الأحاديث والآثار عن الصالحين تجعل الواحد لا يترك هذا الكنز العظيم، عندما يتعلق القلب بالله عَزَّوَجَلَّ، ويصل إلى درجة اليقين بأن الله عَزَّوَجَلَّ سيحقق له مراده وتتغير أحواله ويحسن الظن بربه، يأتي الفرج وتأتي الفتوحات من رب السماوات والأرض.

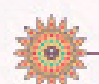
---

(١) زاد المعاد: (٤/ ١٩٣).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَيُقَالُ لَهُ: حَسْبُكَ، هُدِيتَ وَوُقِيتَ وَكُفِيتَ**»[1].

❊❊❊

(١) النسائي في "الكبرى" (٩/ ٣٩) برقم: (٩٨٣٧) وأبو داود في "سننه" (٤/ ٤٨٦) برقم: (٥٠٩٥) والترمذي في "جامعه" (٥/ ٤٢٦) برقم: (٣٤٢٦).



## دعاء تفريج الهمّ والحزن

يبتلي الله تعالى عباده المؤمنين بشيء من الكرب، والهمّ، والحزن، ولا يملك العبد حينها بعد أن يتّخذ الأسباب التي تمكّنه من التخلّص من همّه، إلا أن يناجي ربّه ويدعوه، فذلك قد يفرّج عنه كربه. وقد كثرت الأحاديث النبويّة الشّريفة والآيات القرآنيّة التي بيّنت ما ينبغي على العبد أن يقوله إذا ما أصابه حزن أو مكروه، ومنها:

١ ) الإكثار من الاستغفار، والصّلاة والسّلام على رسول الله، والدّعاء بالاسم الأعظم، ودعاء الكرب، ودعوة يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ لقوله تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[2].

٢ ) قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَحَد يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا آتَاهُ الله مَا سَأَلَ أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهُ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»[3].

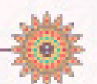
٣ ) أخرج الإمام أحمد، والتّرمذي، وغيرهما، أنّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي

---

(١) سورة نوح، الآيات ١٠-١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٥/ ٣٩٢) برقم: (٣٣٨١) وأحمد في "مسنده" (٦/ ٣١٤٠) برقم: (١٥١٠٨).



كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾[1] فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ»[2].

٤ ) عن أبيّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قلت: «يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، قَالَ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، قَالَ: النِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، قَالَ: الثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، قَالَ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ»[3].

٥ ) في سنن أبي داود وسنن ابن ماجه، من حديث أسماء بنت عميس، قالت: قال لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ أَوْ فِي الْكَرْبِ: اللهُ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[4].

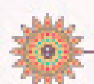
٦ ) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ. أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي - إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَمَّهُ

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٧.

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٩/ ٢٤٣) برقم: (١٠٤١٦)، (٩/ ٢٤٣) برقم: (١٠٤١٧) والترمذي في "جامعه" (٥/ ٤٨٤) برقم: (٣٥٠٥) وأحمد في "مسنده" (١/ ٣٦٦) برقم: (١٤٨٠).

(٣) الترمذي في "جامعه" (٤/ ٢٤٥) برقم: (٢٤٥٧) وأحمد في "مسنده" (٩/ ٤٩٤٧) برقم: (٢١٦٣٢).

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٩/ ٢٤٠) برقم: (١٠٤٠٨)، (٩/ ٢٤٠) وأبو داود في "سننه" (١/ ٥٦١) برقم: (١٥٢٥) وابن ماجه في "سننه" (٥/ ٤٦) برقم: (٣٨٨٢) وأحمد في "مسنده" (١٢/ ٦٥٥٥).



وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِه فَرَحًا . قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»[١].

٧) عن نفيع بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[٢].

٨) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»[٣].

٩) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنْتُ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فِي الْحَلْقَة، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ سَجَدَ وَتَشَهَّدَ، دَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيَّامُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[٤].

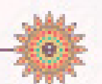
---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣/ ٢٥٣) برقم: (٩٧٢) والحاكم في "مستدركه" (١/ ٥٠٩) برقم: (١٨٨٣) وأحمد في "مسنده" (٢/ ٨٦٤) برقم: (٣٧٨٨)، (٢/ ٩٩٢) برقم: (٤٤٠٤).

(٢) النسائي في "الكبرى" (٩/ ١٤) برقم: (٩٧٦٦)، (٩/ ٢١٢) برقم: (١٠٣٣٢) وأبو داود في "سننه" (٤/ ٤٨٤) برقم: (٥٠٩٠) وأحمد في "مسنده" (٩/ ٤٧٢٢) برقم: (٢٠٧٥٨) .

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/ ٧٥) برقم: (٦٣٤٥)، (٨/ ٧٥) برقم: (٦٣٤٦) ومسلم في "صحيحه" (٨/ ٨٥) برقم: (٢٧٣٠)، (٨/ ٨٥) برقم: (٢٧٣٠)، (٨/ ٨٥) .

(٤) النسائي في "الكبرى" (٢/ ٧٨) برقم: (١٢٢٤)، (٧/ ١٤١) وأبو داود في "سننه" (١/ ٥٥٤) برقم:=



١٠) عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: أَتَى عَلِيًّا رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي، فَأَعِنِّي، فَقَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ دَنَانِيرَ لَأَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قُلِ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ، عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»[(١)].

١١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَقَالَ لَهَا: قُولِي: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَاغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»[(٢)].

١٢) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْنًا لَأَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قُلْ يَا مُعَاذُ: اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَحْمَانَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، تُعْطِيهِمَا مَنْ تَشَاءُ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ»[(٣)].

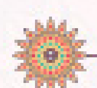
---

= (١٤٩٥) والترمذي في "جامعه" (٥/ ٥١٢) برقم: (٣٥٤٤) وابن ماجه في "سننه" (٥/ ٢٦) برقم: (٣٨٥٨) وأحمد في "مسنده" (٥/ ٢٥٧١) برقم: (١٢٣٨٨)، (٥/ ٢٦٦٦) برقم: (١٢٨٠٦).

(١) الحاكم في "مستدركه" (١/ ٥٣٨) برقم: (١٩٧٩) والترمذي في "جامعه" (٥/ ٥٢٦) برقم: (٣٥٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨/ ٧٨) برقم: (٢٧١٣)، (٨/ ٧٩) برقم: (٢٧١٣)، (٨/ ٧٩).

(٣) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٧/ ١٩٦) برقم: (٢٦٣٣) والطبراني في "الصغير" (١/ ٣٣٦) برقم: (٥٥٨) وحسّنه الألباني.



١٣) أنّ عثمان بن أبي العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أتى النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «يَا رَسُولَ الله، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ! فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِالله مِنْهُ، وَاتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا . قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ الله عَنِّي»[(١)].

١٤) قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[(٢)].

❊❊❊

## السّبيل إلى تفريج الهمّ والحزن:

إنّ المسلم لا يصيبه شيء في هذه الحياة إلا كان كفارةً لذنوبه، ورفعًا في درجاته، ففي الصّحيحين وغيرهما، عن النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[(٣)].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧/ ٢٠) برقم: (٢٢٠٣)، (٧/ ٢١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/ ٢٣) برقم: (٢٨٢٣)، (٤/ ٣٦) ومسلم في "صحيحه" (٤/ ١١٤) برقم: (١٣٦٥)، (٤/ ١١٤) برقم: (١٣٦٥)، (٨/ ٧٥) .

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧/ ١١٤) برقم: (٥٦٤١) ومسلم في "صحيحه" (٨/ ١٦) برقم: (٢٥٧٣)

خَيْرًا لَهُ»[1].

فعلى المسلم أن يصبر ويستبشر بالخير العاجل والآجل، فقد قال الله تعالى: ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧﴾[2].

ومن سُبل تفريج الهمّ والحزن كثرة الاستغفار، فقد قال النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»[3].

والأمر لا يقتصر على الدّعاء فحسب، بل العمل بطاعة الله في الجملة - واجبات ومستحبّات - فهذا من أعظم أسباب تفريج الكربات، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[4]. فلو كاد أهل الأرض جميعـًا للمسلم، وكان على تقوى لله، لجعل له ربّنا من بينهم فرجـًا ومخرجـًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾[5].

وكان النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمر قال: «أرحنا بها يا بلال»، ويقصد بذلك الصّلاة، فهي سبب من أسباب كشف الهمّ، وراحة البال.

❁❁❁

---

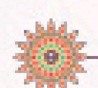
(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨/ ٢٢٧) برقم: (٢٩٩٩).

(٢) سورة الطلاق، الآية ٧.

(٣) النسائي في "الكبرى" (٩/ ١٧١) برقم: (١٠٢١٧) وأبو داود في "سننه" (١/ ٥٦٠) برقم: (١٥١٨) وابن ماجه في "سننه" (٤/ ٧٢١) برقم: (٣٨١٩).

(٤) سورة الطلاق، الآيات ٢-٣.

(٥) سورة النحل، الآية ١٢٨.



## تفريج الهمّ والحزن في السّيرة النّبوية

لقد سعى النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في توفية غُرماء جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وقضاء دين بلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يُفرّج كرب المعدوم، ومن أصابته النوائب؛ ولذلك قالت السّيدة خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: «**كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**»[1] .

فمن كان هذا وصفه، لا يُخزيه الله أبداً، كما قالت أمّ المؤمنين، فكلّ مقدمة لها نتيجة، والبرّ لا يبلى، ومن زرع خيراً حصد خيراً.

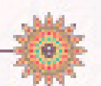
### فضل تفريج الهمّ والحزن عن النّاس:

مساعدة الآخرين من أعظم أبواب الخير، ولها مكانة عالية جدّاً في الإسلام، والذي جاءت عقائده وشرائعه لإصلاح العلاقة بين العبد وربه، وبين العباد أنفسهم. ولهذا حثّ الإسلام على إيصال النّفع للآخرين بقدر المستطاع، لأنّ هذه المساعدة نوع من العبادة التي يرجو بها المسلم الثّواب من ربّه، على أن يكون عمله هذا خالصاً لوجه الله تعالى.

### وأمّا عن فضائل هذه المساعدة، فمنها:

مساعدة الآخرين نوع من الإحسان، وقد قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١/ ٧) برقم: (٣)، (٤/ ١٥١) برقم: (٣٣٩٢)، (٦/ ١٧٣) ومسلم في "صحيحه" (١/ ٩٧) برقم: (١٦٠)، (١/ ٩٨).



ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[2].

تفريج الهمّ والكرب عن المسلم الذي يكون في عون أخيه المكروب، روى البخاريّ ومسلم في صحيحيهما، أنّ عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»[4].

**والمصرع:** هو مكان الموت، فيقي الله من يحسن إلى النّاس بقضاء حوائجهم من الموت في مكان سيء، أو هيئة سيّئة، أو ميتة سيّئة.

### أفضل الأعمال التي يفعلها المسلم لأخيه المسلم:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سُئل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيّ الأعمال أفضل؟ قال: أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي له ديناً، أو تطعمه خبزاً»[5][6].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

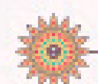
(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٦.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣/ ١٢٨) برقم: (٢٤٤٢)، (٩/ ٢٢) برقم: (٦٩٥١) ومسلم في "صحيحه" (٨/ ١٨) برقم: (٢٥٨٠)

(٤) رواه الطّبراني (٨٠١٤) وحسّنه الألباني.

(٥) رواه ابن أبي الدّنيا في كتاب: قضاء الحوائج، والبيهقي، وغيرهما، وحسّنه الألباني.

(٦) موقع موضوع في النت.



## منظومة العشر الوصايا للمرضى واصحاب البلايا

**للشيخ: محمد بن عبدالله الحصم**

قال محمد بن عبد الله ... أحمد ربي خالقي إلهي

جَلَّ جَلَالُهُ تعالى ذكره ... لا رب لي ولا إله غيره

أذكره سبحانه مستغفرا ... لكل ذنب راجيا مستبشرا

فربنا الغفور والكبير ... وفضله العظيم والكثير

مصليا مسلما مرددا ... ومثنيا على النبي أحمدا

وصحبه من بعده والآل ... ذوي التقى والخير والكمال

وبعد فالدين هو النصيحة ... إذا أتت خالصة صحيحه

وهذه عشر من الوصايا ... يحتاجها المرضى ذوو البلايا

أولها اعلم أن ذا اختبار ... ليُعلم السخوط والصبار

وهذه حقيقة الدنيا كما ... بينها الله لنا تكرما

فالصبر أجره بلا حساب ... والساخط الموعود بالعقاب

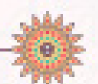
فهذه الأولى وأما الثانية ... فاعلم بأنها حياة فانية

مما يسلي حزنها زوالها ... عما قريب تنتهي أثقالها

لا تنخدع متاعها قليل ... غرورها يتبعه الرحيل

وثالثا تذكر الحساب ... والموقف الطويل والثواب

كل معافًى يغبط المريض ... حين يرى ثوابه العريض





أما المريض نفسه فقد يرى ... لو زيد في البلا لكان أجدرا

ورابعا لا تغبط الأفضل بل ... انظر إلى الأسفل وانظر للأقل

فذاك أولى وبه اعتبار ... وذا قضاؤه هو الجبار

فربنا أعلم بالأحوال ... فهو الحكيم وهو ذو المحال

وخامسا لا تكثر الشكوى على ... غير الإله فهو كاشف البلا

شكواك للغير بلا حصيلْ ... أيضا ينافي صبرك الجميلْ

سادسها عليك بالدعاء ... لله رب الأرض والسماء

فهو المجيب عبده المضطر ... ويكشف السوء يزيل الضر

ووحده من يملك الشفاء ... ويرفع الامراض والبلاء

هو الكريم من دعاه سائلا ... فلا يُرد خائبا بل نائلا

يجيبه الرحمن بالأصلح له ... يعطيه ما أراد أو يذخر له

أجرا عظيما وافرا كما دعا ... أو مثله من البلا قد دفع

والسابع الذكر لذي البقاء ... لا سيما في الصبح والمساء

فذكره يطمئن القلوب ... وذاك أمر لم يزل مطلوبا

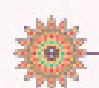
وذكره حصن حصين يمنع ... من عين حسّاد بغيض يطمع

كذا من السُّحار والشيطان ... فذكره وقاية الإنسان

وأفضل الذكر كلام ربنا ... فيه شفاء كل ما حل بنا

يشفي قلوبنا مع الاجسام ... وذاك قول ربنا العلام

ثامنها الإحسان والعطايا ... تدافع الأمراض والرزايا



لأنها صنائع المعـــــروف ... تقي العباد سيء الحتوف

ومن دوا المريض دفع الصدقة ... يروى حديثا بعضهم قد حققه

ثم الصلاة تاسع الوصايا ... من لا يصلي مجمع البلايا

وما الذي يرجوه عند العافيه ... إن أعقبتها نار ربي الحامية

إن الصلاة تشرح الصدور ... وتذهب الهم كذا الشرور

وكيف لا وأنت فيها تتصل ... بربنا الكريم معطي من سأل

عاشرها أهمها لا تيأسن ... من رحمة الله فتردى في المحن

لله درها قلوب قانعـــه ... برحمة الرب الكريم الواسعة

قد أحسنت بربها الظنـــون ... وهم بلطف الرب واثقون

وفي الختام ربنا ندعـــوك ... باسمائك الحسنى كما نرجوك

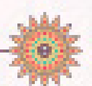
أن تكتب الشفاء للجميـــع ... يا رب يا مجيب يا سميع

يا رب ألبسنا لبوس العافيـــة ... رباه وارزقنا جنانا عالية

فأنت مولانا وخير من ســـئل ... وخير من يعطي وخير مؤتمل

ثم الصلاة والسلام أبـــدا ... تغشى الحبيب المصطفى محمدا

❊❊❊



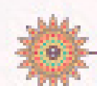
## القواعد العشر للتعامل مع الشدائد

* **القاعدة الأولى**: لست وحدك من يصيبه الهموم والغموم والحزن.
* **القاعدة الثانية**: لا يقدر الله شيئا إلا لحكمة.
* **القاعدة لثالثة**: جالب النفع ودافع الضر هو الله فلا تتعلق إلا به.
* **القاعدة الرابعة**: ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.
* **القاعدة الخامسة**: اعرف حقيقة الدنيا تستريح.
* **القاعدة السادسة**: أحسن الظن بربك.
* **القاعدة السابعة**: اختيار الله لك خير من اختيارك لنفسك.
* **القاعدة الثامنة**: كلما اشتد الابتلاء قرُب الفرج.
* **القاعدة التاسعة**: لا تفكر كثيراً في كيفية الفرج فإن الله إذا أراد شيئا هيأ له أسبابه بشكل لا يخطر على بال، بل فكر وخطط كيف تصلح علاقتك بخالقك ومولاك.
* **القاعدة العاشرة**: عليك بكثرة الاستغفار ودعاء من بيده مفاتيح الفَرَج.

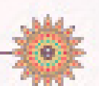
**قال أحد الصالحين**: (لا تَحْسَب أنَّ نفسكَ هِي التي سَاقَتْكَ إلى فِعْلِ الخيرات، بل اعلم أنَّك عَبْدٌ أحبَّكَ اللهُ فألْهَمَكَ فِعْلَ الخيرَاتِ، فلا تُفَرِّطْ في هذه المحَبَّة فينساك).

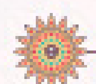
***

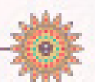




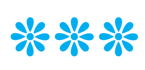
## الفهرس











أشياء كثيرة يرى فيها الإنسان أسباباً للسعادة، لكنِ السعادة الحقيقية تكمن في أن يكون قلب الإنسان عامرا بحب الله سبحانه وتعالى فيعيشِ المرء براحة وطمأنينة ورضا وقناعة، فلا يلتفت كثيرا للأشياء المادية، لأن السعادة الحقيقية هي راحة البال وطاعة الرحمن.

من روائع الإمام الشافعي رحمه الله :

يا صاحب الهم إن الهم منفرج
أبشر بخير فإن الفارج الله

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه
لا تيأس فإن الكافي الله

كلُ همَّ سوف يرحل
كلُ كسرٍ سوف يُجبر
كلُ ضيقِ سوف يفنى
كلُ حق سوف يُنصر
إن تمادى الحزنُ فينا
رحمةُ الرحمن أكبر




للتواصل مع المؤلف:

 momo89744  7374__50@  alzailaay111@gmail.com

جوال: 500507374 966+